

٢  
التاريخ المعزو إلى القائد سمباط الأرمني

obeykandi.com

## مدخل

منذ نشوء الأبجدية المصرية Mesrobia ، تعلق الشطر الأكبر من الأدب الأرمني بالأحداث التاريخية، وذلك لأن الأرمن أخذوا أوضاع بلادهم بعين التقدير، ولقد كان مرد ذلك إلى التأثير الخارجي.

وكان الأرمن — والحق يقال — أشبه بالصخرة، ارتطمت بها أمواج الفاتحين من الفرس والعرب، والترك، وهكذا عرف الشعب الأرمني أوضاعاً ما كان ليحسد عليها، لكن نظرة إلى الموضوع من زاوية أخرى ترينا حالة الأرمن حالة متميزة جداً، لأنهم كانوا الشهود على قيام كبريات امبراطوريات الشرق التي أطلت على البحر المتوسط، وأيضاً على انهيارها، ومنذ أن اعتنق الأرمن المسيحية، ظلت بلادهم جزيرة مسيحية، على الرغم من جميع التغيرات والتحركات المذهلة التي شهدتها شعوب المنطقة، ولهذا حافظت أرمينيا على ثقافتها، مع أنها تعرفت بشكل مباشر في غالب الأحيان على الشعوب التي وطئت أقدامها المنطقة، ولعل هذا الوضع الحساس للشعب الأرمني، كان السبب الرئيسي في ظهور مؤرخين مشاهير من أمثال: الياس، الذي احتوت مؤلفاته على أخبار الحروب الساسانية، وليون الذي كتب عن الفتح العربي، وأرستاك لاستيفركي، الذي تولى التأريخ للسلاجقة، وتولى متى الرهاوي تدوين أخبار الآثار التي نتجت عن الغزو الصليبي لأرمينيا، خاصة رداد الفعل الأرمنية تجاه هذه الحروب، التي عدت لمصلحتهم في القرن الثاني عشر م، وجاء غريغوري لي بريتري بعد الرهاوي وأكمل عمله، وكانت أعداد كبيرة من الأرمن هاجرت من بلادها إلى كليكية، وأرض الشام ومصر، وتمكن الأرمن من السيطرة على كليكية، وأقاموا فيها دويلة، شغلت دوراً هاماً في حياة أنطاكية الصليبية وعلاقتها مع المسلمين ولا سيما في حلب، وتهتم الدراسات

الحديثة بتاريخ هذه الدولة، ولاسيما من قبل الأوساط الإسرائيلية التي لها علاقة بها، لأنها قامت في وسط غير صديق من جميع الجوانب، فسكان كليكية العرب كانوا ضد الأرمن الذين تسلطوا عليهم، ولم تكن علاقة هذه الدولة جيدة لا مع اليزنطيين، ولا مع الصليبيين ولا مع المسلمين، لكن استطاع بعض الحكام شغل دور استغلال التوازنات بشكل بارع، ويظل من أهم جوانب تاريخ دولة أرمينيا الصغرى علاقاتها مع أنطاكية ثم تحالفها فيما بعد مع المغول، لدى قدوم هؤلاء للسيطرة على بلاد الشام، ولقد ظلت معلوماتنا عن هذا الجانب غير كافية حتى تم العثور على تاريخ نسب إلى القائد سمباط، الذي عاصر جوانفيل.

ورأينا المدى الكبير الذي اهتم به جوانفيل بالموضوع المغولي، وهو الموضوع الذي سنوليه المزيد من الاهتمام بنشر مصادره الأساسية.

وأثارت مسألة نسبة الكتاب إلى سمباط عدداً من المشاكل، وبداية يلاحظ أن الكتب عن المصادر الأرمينية، فيها إشارة إلى تاريخ صنفه سمباط، وخير مثال على ذلك تم العثور على ثبت فيه أسماء المؤرخين الأرمن، وتاريخ هذا الثبت هو ١٧٩٠ - ١٧٨٩، وقد ورد فيه ذكر كتاب اسمه «تاريخ ملكية رويين» قام بوضعه سمباط، وكان الأب ميخائيل تكمتشين قد تحدث عن سمباط في كتاب «تاريخ أرمينيا»، (ط ١٧٨٦ - ج ٣ ص ٣٣٥)، وجاء ذلك في معرض حديث هذا الأب عن بعض المؤرخين الأرمن الذين فقدت كتبهم، وكان علينا أن نتنظر حلول القرن التاسع عشر كي نحصل على ما هو منسوب إلى سمباط دون أدنى ريب.

وجاء العثور الأول على تاريخ سمباط، لدى زيارة المستشرق الفرنسي م. ف. بروسي للمكتبة التي امتلكها دي ايجيمشين، حيث عثر على نسختين من تاريخ منسوب إلى سمباط، ثم تطورت هذه المسألة

وتقدمت بالعثور على العديد من النسخ، كان من بينها اثنتين من مكتبة القديس لعازر في البندقية، ومع تزايد الاهتمام بهذا الموضوع جرى التعرف على مخطوط أرمني في المتحف البريطاني (رقم ٥٤٥٨) تشابه بمضمونه إلى حد كبير مع الذي عثر عليه عند ايجيمشين، والذي اختلف به مخطوطا ايجيمشين هو أنها احتويا على بعض الأناشيد الدينية والقصائد.

وقام في سنة ١٨٥٦ الروسي جورجيان يوهانسك بنشر التاريخ المنسوب إلى سمباط اعتماداً على إحدى مخطوطتي ايجيمشين، وقام في سنة ١٨٥٩ كرابات فاردايت شاهنزاريان بإعادة نشر التاريخ المنسوب إلى سمباط، ولم تختلف طبعته كثيراً على ما كان قدّمه أوسكان إلا بوجود قصيدة نظمها غريغوري العينزربي على شرف الملك أوسيم، لكن والحق يقال إن نص كرابات أكثر دقة مما جعل منه قاعدة لأعمال الترجمة المقبلة، وفي الوقت نفسه لوحظ أن نص مخطوطتي ايجيمشين ليس فيه لغة عامية أرمنية.

ونسب علماء القرن التاسع عشر نص ايجيمشين إلى القائد سمباط، وكان من هؤلاء الأب أليكان في كتابه عن أرمنيا الصغرى في كليكية، وجاءت معرفته بهذا الكتاب عن طريق أخيه سيروف مارجر أليكان، فهو قد عثر في ١٨٧٦ على مخطوط في القسطنطينية، وقدمه إلى أخيه الأب أليكان، ويرجح أن هذا الأب قد قدم هذا المخطوط إلى مكتبة Mekhitaristes في البندقية، وهناك منح هذا المخطوط رقم / ١٣٠٨ / ، وسجل تحت عنوان «تاريخ متى الرهاوي وأخبار الكليكيين لسمباط».

واقبس الأب أليكان في كتابه عدة مقاطع من هذا المخطوط، وكان كتابه هذا قد نشر سنة ١٨٨٥ ، وإثر ذلك عملت دور النشر الفرنسية على ترجمته هذا الكتاب، وكتاب آخر له عن ليون العظيم، وكان كذلك

قد اعتمد فيه على تاريخ سمباط، ثم قام هذا الأب بمزيد من الاقتباسات من هذا التاريخ في كتاب عن هيتوم، نُشر في البندقية سنة ١٩٠١ - ١٩٠٢ ، وبعد هذا بسنوات قام المستشرق الفرنسي كلود كاهين بإعداد أطروحته للدكتوراه عن سورية الشمالية في عصر الحروب الصليبية (باريس ١٩٤٠)، وهنا أعرب عن أهمية الكتاب المعزول إلى سمباط.

ولاقى هذا الكتاب المزيد من الاهتمام في فرنسا وإنكلترا والولايات المتحدة، وقام في سنة ١٩٥٦ سيروب أكليان، بقراءة نصوص المخطوطات المتوفرة قراءة واعية، وإعادة صياغتها، وسهل هذا ترجمة الكتاب إلى بعض اللغات الأوربية، وتسهيل التعامل مع مواده، ومع هذا لوحظ أن نص مخطوط البندقية قد كتب بعامية أرمنية، فيه كلمات كثيرة مستعارة واصطلاحات صعبة التفسير، وقد أثار هذا مسألة نسبة الكتاب، لأن الذي عرف عن سمباط علو الثقافة وصحة اللغة. وفي مناقشات مسألة نسبة الكتاب إلى سمباط أو نفي ذلك لم تتوفر أدلة قاطعة على صحة النسبة، لكن الذي تأكد هو صحة نسبة الأخبار له، إنما قد يكون مجهول قام بإعادة صياغة الكتاب، ومن ثم أقحم فيه بعض المواد من مصادر أخرى لا سيما مما جاء لدى متى الرهاوي.

وخلصت الأبحاث التي تناولت نصوص المخطوطات، إلى التسليم بأن الأصل الذي تم الاعتماد عليه صنف في القرن الثالث عشر، وصاحبه من الأسرة الملكية الهيتومية الأرمنية، ومواده عن أحداث الحروب الصليبية المبكرة مختصرة ومتوفرة في مصادر أخرى أفضل، أما عن كليكية مع المتأخر من أحداث الوجود الفرنجي في المشرق وتداخله مع قدوم المغول، فهذا هام ويكاد يكون أساسياً، وسيظل كذلك حتى تنهياً فرصة سعيدة يعثر بها على نسخة صحيحة من تاريخ سمباط.

التاريخ المعزو  
إلى  
القائد سمباط

obeykandi.com

## ١ - دخول مانويل كومينوس إلى أنطاكية

قرر ملك القدس، وأمير أنطاكية، وطوروس، والداوية والاسبتارية إمداد الصليبيين الذين أتوا وخيموا أمام أنطاكية، وبعث ملك القدس من جهة أخرى مع بقية القادة يحثون الامبراطور الاغريقي (البيزنطي) على القدوم لمساعدة المناطق الصليبية، ووافق الامبراطور على ذلك، ووعد بالقدوم إلى أنطاكية، لكن وعوده لم تكن خالصة، ولانيتها حسنة، فقد كان يخطط بالفعل للدخول إلى أنطاكية، ليس لانجاز عمل مهم، ولكن لرغبة جامحة كانت تدفع به نحو النساء، فقد كان يفكر بالزواج بواحدة من بنات بوهموند أمير أنطاكية، وقد جاء ليرى إن كانت الفتاة تناسب ذوقه، ولم يكن قد أخبر أحداً بما هو عازم عليه .

وقام مانويل في تلك الأيام بإعطاء بلدوين ملك القدس — الذي كان رجلاً له بنية عملاقة — هدايا ثمينة، وتوجه بتاج ملكي، وخلع عليه ثياباً لها قيمة عالية، كما منحه سرادقاً ملكياً، ملاء بالأواني الفضية والذهبية، وجميع أنواع الأثاث، حسبما جرت العادة، وأهدى كذلك إلى القادة التابعين له هدايا ثمينة، وخص واحداً منهم اسمه فيليب، ومع هذا توجه هذا إليه بخطاب كلماته لا يمكن أن تمحى من الذاكرة، فعندما بعث إليه الامبراطور بثلاثة رؤوس من الخيل، محملة بالذهب وبالملاص الثمينة، وقف وقدم شكره له، وبعدها كلف رسوله أن يقول لسيده: «نحن لم نأت إلى لقاءك هنا من أجل كنوز وملابس، ولكن من أجل سلام المسيحيين، وإذا كان هذا ما ترمي إليه، فسوف نضع تحت تصرفك رجالنا، وكل فرقنا، وجميع ما نملك، وحيثما كان القتال سوف ترى أي مقاتلين لديك، وكذلك أعط ذهبك إلى الفقراء، ولكن إذا لم تتصرف كما طلبنا منك، ووعدتنا به بانقاذ المسيحيين، فإنه ليس لذهبك أدنى قيمة بنظرنا».

وشرعوا بعد ذلك بالإعداد لدخول أنطاكية حسب الطريقة التالية:

فقد زينوا أبواب المدينة والأسوار، ورفعوا العلم الامبراطوري فوق الأسوار، ومركزوا جنوداً على أبواب المدينة تحت أوامر قادتهم، وكذلك في الأزقة، وهناك تمركز بعض القادة أيضاً، وأغلقوا داخل أنطاكية بكتائبهم، وزعقت بعد ذلك الأبواق، ودخل الامبراطور مرتدياً الثياب الامبراطورية، والتاج على رأسه، حيث تشع الأحجار الكريمة مثل نجوم ساطعة، وتقدم على حصانه الملجم بلجام ذهبي، وقد اصطفت العساكر على الطرفين: عن يمينه وعن يساره، وسار بخطى صغيرة، وكان يسير أمامه ملك القدس متوجاً بإكليل، وممتطياً حصاناً، وأمير أنطاكية، ولكن سيراً على الأقدام، دليلاً على الذل والإهانة.

وفق هذه الطريقة دخل الامبراطور الاغريقي مانويل إلى أنطاكية مع ملك القدس بلدوين، وبعدهما سار حتى وسط المدينة، قصد كنيسة القسيان (القديس بطرس) ومقر الكرسي البطريركي، وهناك قدم نفسه، ثم عاد أدراجه.

## ٢ — مراسلة مانويل لنور الدين

وعندما علم نور الدين بن زنكي بأخبار هذا الحشد الكبير، وكان آنذاك كبير أمراء حلب، استولى عليه الرعب، وخاف من هذا التجمع الكبير للقادة المسيحيين، فاستنفر قلاعه كلها، واستعد للحرب، ونشر القوى والقادة في جميع الأماكن المناسبة، ونقل ذخائره إلى الجانب الآخر من الفرات.

وبعد بضعة أيام بعث الامبراطور رسولاً إلى نور الدين، مع رسالة طالبه فيها بإعادة جميع أراضي أنطاكية، وكذلك بالرها وأراضيها، التي نظفها من الصليبيين، وأمر بإعادة الأسرى المأخوذين من جميع الأمم المسيحية، والذين كانوا يعانون في السجون لديه.

وعندما رأى سلطان حلب، أي نور الدين الرسول، وقرأ الرسالة

التي حملها، ارتاح من الهموم وزالت مخاوفه التي كانت تراوده، وبما أنه كان ماكرًا، فقد استطاع أن يقدر مدى قوة الجيوش المحتشدة، بما أن المطالب لم تأت بالسيف والرمح، وإنما بالورق والمداد، وبناء عليه أجاب الامبراطور بعدم الطاعة، ورفض مطالبه كلياً، ولدى سماع الامبراطور بجواب نور الدين دعا إلى اجتماع لجميع القادة لإقرار الجواب الذي يتوجب إرساله إلى نور الدين.

### ٣ — تراجع مانويل بدون قتال

ووقع ملك القدس وأمير أنطاكية وباقي السادة على قدمي مانويل الامبراطور الاغريقي قائلين: «يا مولانا لا تغير فرحتنا الكبيرة إلى حزن، ذلك أن اتحادنا يوهن أعداء المسيح، ويغرقهم باليأس، وإذا ما وقع اختيارك على إقامة السلام معهم عوضاً عن القتال، فلسوف يزيلون بضربة واحدة اسم المسيحيين من على وجه الأرض، ولسوف يحتقرون المسيحيين ويأسرونهم بدون وجل، لأننا سوف نكون موضع سخريتهم».

ولكن مانويل لم يهتم بهذا، وأصر على العودة، واحتج بتوفر بعض الأسباب الطارئة وقال: «تلقيت معلومات من العاصمة ولهذا أريد استعجال العودة» وهكذا تعلق كذباً، ثم زاد من كذبه من أجل العودة، عندما رجاه الجميع وهم يشعرون بحزن عميق، لعدة مرات، بعدم العودة مباشرة، وتخصيص ثلاثة أيام فقط لحملة ضد حلب، وبعدها يعقد السلام مع المسلمين، إذا كان ذلك ما يريده، ويمليه عليه قلبه.

غير أن مانويل لم يعر توسلاتهم أدنى اهتمام، ولم يرد خدمة مصالح المسيحيين، لذلك بعث برسول إلى نور الدين، فعقد معه الصلح، واندش المسلمون لما حدث لدى سماعهم الأخبار، لأن ذلك لم يكن متوقعاً لديهم، فقد كانوا ينتظرون رؤية الهزيمة.

وأدركوا أنهم نجوا بدون سفك للدماء، ولا حرب مخيفة وقاسية، ذلك أنهم كانوا يحسبون السفراء جواسيس، لكنهم تأكدوا الآن من الحقيقة منهم، ومع هذا لعظيم فرحتهم لم يصدقوا، ولم يقنعوا أن ما حدث كان صحيحاً، ولهذا احتاروا أي جواب يعطون، وبعدما تيقنوا من صورة الحال بعثوا إلى الامبراطور أموالاً كثيرة وهدايا نفيسة، وجياداً أصيلة، وبغلاً جميلة، وبعثوا مع هذا كله بخمسين من الأسرى المسيحيين.

وعندما عاد مانويل، الامبراطور الاغريقي الشجاع، الذي قدم كنسر قوي، ورجع كثعلب ضعيف، وابتعد كجبان، على الرغم من جميع الفرسان الذين كانوا لديه، وتابع سيره حتى وصل إلى بلدان السلطان قلعج أرسلان، ووقتها انقض عليه التركمان والأوج، وهاجموا ساقه جيشه، وقتلوا اثني عشر ألف رجل من أتباعه، مما نجم عنه عداوة حادة بين الامبراطور والسلطان، أما فيما يتعلق بطوروس فقد تدبر أمر انسحابه بسلام.

(الوقائع من ١١٦٠ حتى ١١٧٥ ، مماثلة لما ورد في مخطوطة ايجيمشين).

#### ٤ — اغتيال ستيفاني من قبل الاغريق

في سنة ١١٦٤ (٨ شباط ١١٦٥ — ٧ شباط ١١٦٦) قتل ستيفاني بن ليون، وأخو طوروس أمام هاموس في كليكية، وجاء ذلك نتيجة مؤامرة دبرها دوق الإغريق، فقد استدعاه المسيحيون المحليون باسم الصداقة، وعندما انفردوا به، أزالوه من هذا العالم بموت بشع، حيث سلقوه في قدر، دون أن يباليوا بجندي مثله، وقد ترك ولدين هما: روبن، وليون، أما فيما يتعلق بأخويه طوروس ومليح فقد عبرا عن انتقامهما بطريقة خيانية، حيث صبا انتقامهما على ألف إغريقي بريء سفكا دماءهم،

وهم لا علاقة لهم بما تحمل الدوق مسؤوليته.

## ٥ — انتصار الجيورجيين

وزحف في السنة نفسها جورجي ملك الجورجيين مع جيشه ضد دوين، وقد خرج المدافعون عنها لصدّه وقتاله، لكن جورجي هزمهم وأرغمهم على الفرار والاعتصام داخل المدينة، وطاردهم جنود الملك، ولم يرفعوا سيوفهم عنهم حتى أبادوهم، وألقوا النار في المدينة، وبعدها حولوها إلى خراب انسحبوا.

## ٦ — مؤامرة مليح ضد طوروس

وتصرف في هذه الآونة طوروس المنتصر، ابن ليون بحذر، وأمن الدفاع عن المناطق الجبلية في جبال طوروس، التي كان هو حاكمها، أما أخوه مليح فكان رجلاً شريراً وقاسي القلب وبلا رحمة، حيث خطط لقتل أخيه، ورسم خطته وقرر تنفيذها مع أشخاص آخرين، وفي أحد الأيام بينما كانوا يصطادون فيما بين المصيصة وأذنة، قرر مليح قتل أخاه هناك في ذلك المكان، غير أن طوروس الذي كان ينتظر مثل هذا العمل اعتقل أخاه، لأنه كان متيقظاً، واستجوبه أمام الجيش مع كبار القادة عن الأسباب التي دفعته لاقتراف مثل هذا العمل، ووبخ مليح بحضورهم توبيخاً قاسي اللهجة، وأعطاه بعد ذلك جياداً وبغالاً ومالاً وسلاحاً وبعض الرجال وطرده إلى خارج البلاد، دون أن يعاقبه أكثر على فعلته، واتجه مليح إلى صاحب حلب، نور الدين، ودخل في خدمته، فأقطعه قورس وأراضيتها.

## ٧ — الأسرة الهيتومية

كانت زوجة ستيفاني ابنة للبارون سمباط صاحب بايروان (١)، أخو أوشين صاحب لامبرون (٢)، كما كانت أختاً لباكوران، الذي حكم بايروان بعد مقتل أبيه سمباط من قبل جيوش طوروس على أبواب

المصيصة، وحسبها ذكرنا من قبل، قد قامت هذه الأميرة بالاعتصام في بابيروان بجوار أخيها باكوران، واستقرت هناك، وربت أولادها، وكانت هذه اسمها ريتا، وكانت عاقلة تقيّة، وتُحاف السيدة، وكان لدى باكوران أخ اسمه كاساك، وكان هذا صاحب قلعتي أسكوراس (٣)، ولاماوس (٤) وأراضيها، وكان باكوران صاحب بابيروان رجلاً طيباً وكريماً، وحريصاً على الجميع ومحوباً من الرب ومن الرجال، فليبارك الرب ذكراه، وكان لكل من باكوران وكاساك أخ آخر اسمه هلكم، هذا وكان كاساك والد أول البارونات.

#### ٨ — تكريس الجاثليق نرسيس الرابع

في سنة ٦١٦ (٨ شباط ١١٦٧ — ٧ شباط ١١٦٨) وجد تير غريغوري نفسه قد تقدمت به السن، ذلك أنه كان قد أمضى أربعاً وخمسين سنة جاثليقاً، بمشيئة الرب، عندها جمع بتحذير من الروح القدس، حشداً من رؤساء الأساقفة والأساقفة والرهبان، وشخصيات دينية أخرى مقدسة، وخص أخاه رئيس الأساقفة نرسيس ضياء الدين، بعرش الجاثليق الأرمني، وذلك بعدما ترجاه كثيراً، إذ أن نرسيس هذا أراد رفض هذا التشریف، لحسابه أنه كان غير قادر على الاستجابة للنداء الرباني، وقد نظم نرسيس هذا عدة أغاني روحية للكنيسة، وقاد الكرسي البطريركي حسب مشيئة الرب، وكان رجلاً سليماً، بجمال جسماني، وكان منظماً، مليئاً بكل العلوم مع رحمة الروح القدس، وكان متدفقاً كتدفق النهر الغزير الجريان، وكان والحق يقال لا مثيل له بين البطاركة الذين تقدموه والذين تلوه إلى عصرنا هذا، وقد انتشر صيته وذاع حتى وصل إلى القسطنطينية، لا بل حتى امبراطور الإغريق كير — مانويل، الذي طلب منه رسالة إيمانية باسم الكنيسة الأرمنية، وكتب نرسيس الرسالة، وبعدها قرأها أمام الامبراطور، قام البطريرك مع جميع العلماء الإغريق بالاعتراف بالإجماع بأرثوذكسية الإيمان الأرمني.

وعندها أرسل الامبراطور هورومكلي Horomklay الفيلسوف إلى هذا اللاهوتي، وقد أجرى معه محادثات دامت عدة أيام، وعندما عاد إلى الامبراطور أخبره أن علم القديس نرسيس لا يعدله علم بدفته، وكرمه لا يعدله كرم، وأحب الامبراطور القديس البطريرك، ويادر إلى البعث لإحضاره إليه مرة أخرى، ليعقد الصداقة والاتحاد بين شعبين كانا حتى الآن مفترقين أحدهما عن الآخر، ولم ير هذا الامبراطور الماكر محصلة جهوده، بسبب وفاة البطريرك نرسيس.

#### ٩ — وفاة طوروس الثاني

في سنة ٦١٧ (٨ شباط ١١٦٨ — ٦ شباط ١١٦٩) توفي طوروس الأكبر، ابن لاون بن قسطنطين بن روبين الذي احتل المناطق الجبلية في جبال طوروس، وكان قد حقق عدة إنجازات في أماكن أخرى متعددة، وحقق انتصارات في معارك كثيرة، بفضل مهارته، فليرحمه الرب.

واختار الملك طوروس في ساعاته الأخيرة ولياً لعهدته توماس ابن الأمير روبين، وقد تولى هذا حكم بلاد طوروس لمدة سنة واحدة.

#### ١٠ — اغتصاب مليح للسلطة

في سنة ٦١٨ (٧ شباط ١١٦٩ — ٦ شباط ١١٧٠) تلقى مليح أخو طوروس، تعزيزات من عند نور الدين صاحب حلب، وقد دخل إلى كليكية مع الكثير من الترك، واستولى على إمارة أخيه، وحصل الترك على الكثير من الأسلاب، وذلك لدى بحثه عن أعدائه لينتقم منهم، فقد قهرهم، وسلبهم ممتلكاتهم، ثم ألقاهم بالسجن، وكلبهم بالسلاسل، وكان يستوقف الناس، ويقلع لهم أسنانهم، وذلك حيث شك بوجود الذهب أو الفضة بالفم، فهو لم يوفر شيئاً إلاّ وسلبه، وبالطريقة نفسها سبى النساء المحتشمات، واغتصبهن بوسائل معيبة، وكدس الذهب والفضة، وأشبع نهمه باغتصاب أرزاق الأثرياء، فقد كان رجلاً متوحشاً

وشريراً، وبلا رحمة، وكان الجميع يكرهونه ويتمنون الفرار منه، لكنهم لم يجدوا آنذاك ملاذاً يمضون إليه .

في سنة ٦١٩ (٧ شباط ١١٧٠ — ٦ شباط ١١٧١) ضرب في يوم ٢٩ حزيران زلزال قوي المنطقة، وهدم أسوار أنطاكية وحلب، وانهارت أيضاً الكنيسة المكرسة على اسم أم الرب، وخلف هذا الزلزال ضحايا كثيرة.

### ١١ — صراع مليح ضد الهيتوميين

وبعدما صار مليح سيداً لإمارة أخيه، التجأ توماس إلى أنطاكية، وقد بعث ابن طوروس إلى المقر البطريركي في هورومكلي، لحصار البطريرك هناك، وقد توفي الجاثليق في تلك الأثناء، وقام هيتوم بن أوشين، الذي كان قد تزوج من ابنة طوروس — كما ذكرنا — ولم يستطع بعد ذلك هجرها والابتعاد عنها في حياة طوروس، لعدم قدرته على فعل ذلك، قام الآن بعد وفاة أبيها بالابتعاد عنها وتطبيقها.

وغضب مليح لما حدث، فذهب لحصار لامبرون، ومعه قواته، وقد ألحق خسائر جسيمة بالسكان، وفي الحقيقة كان هناك من قبل صراع مستمر بين الروبنيين وبين الهيتوميين، وجاء هذا الطلاق ليؤجج ذلك، ولقد عذبهم مليح كثيراً وأذاهم بالحرب، وبالمجاعة.

### ١٢ — تكريس الجاثليق غريغوري الرابع طلاي

في سنة ٦٢٢ (٦ شباط ١١٧٣ — ٥ شباط ١١٧٤) استدعي القديس المنير البطريرك نرسيس إلى جنب المسيح يوم ١٣ — آب، وبذلك أغرق الكنيسة الأرمنية في حزن عميق، وكان قد كتب في وصيته أمراً بإجلاس ابن أخيه الأكبر باسيل على عرشه، أي رئيس الأساقفة تيرغريغور الملقب بطلاي، وبناء عليه تمّ العمل وفقاً لأوامره، ووفقاً لما رآه مجلس ضم عدداً كبيراً من رجال الدين، وجاء الآن ترتيب تيرغريغور الحادي

عشر في سلسلة الذين تسلموا منصب الجاثليق لدى الأرمن.

وكان رجلاً ضخماً، وصاحب مظهر جدي، له وجه بشوش، وقلب كريم مليء بالحكمة، وبالعلم وبالروح الطيبة، وقد حبي بالمرونة في الكلام، مع موهبة التلاعب بالجميل والمقاطع المقتبسة من العهد القديم، وكذلك من العهد الجديد، وقد زين القديس غريغور الكرسي المقدس ببناء الكنيسة الرائعة، والتي زاد في جمالها ورونقها بالأواني الثمينة من الذهب والفضة، ومن الملابس المذهبة، ولكثرة ما أغنى به هذا المعبد المقدس لم يتمكن الذين تولوا أمره من بعد من تقليص عدد الأشياء التي كانت فيه مع أن كل واحد منهم كان يتولى صهر الذهب والفضة التي فيه.

وكان قد أمر أيضاً بصنع ثلاثة قبور في أقبية الكنيسة، وقد أودع فيها ما تبقى من جثث القديسين البطارقة أي: نرسيس وغريغوري ومنتقدمها غريغوري الخامس كياسير، وكان قد أحضرها من منطقة كيسوم، من دير كرميروانك (٥)، وقد عاش حياة ملكية، حيث كان يمنح الهدايا الثمينة، والعطايا العظيمة، واحتفظ بهائدة عامرة.

وتوفي في هذه السنة صاحب حلب نور الدين، وقد خلفه ابنه الملك الصالح.

### ١٣ — الأعيان يولون رويين الثالث الحكم

بعدهما أمضى مليح خمس سنوات في الحكم، اتفق أعيان الأرمن في سنة ١١٢٤ (٦ شباط ١١٧٥ — ٥ شباط ١١٧٦) والشخصيات التي كانت محيطة به على قتله في مدينة سيس، بسبب عاداته السيئة، والسلوك الفاسد، فبعثوا إلى بايروان وأحضروا الابن الأكبر لستيفاني، الذي اسمه رويين، وذلك بهدف إجلاسه على عرش أجداده، وقد تركه خاله باكوروان يذهب من دون تأخير، وأعطاه وفرة من الذهب والفضة،

وعندما وصل روبين، وضع نفسه في خدمة بلد آبائه والأمراء الأرمن الذين أطاعوه عن طيب خاطر، وقد كان رجلاً حريصاً وكريماً، وبهيّ الطلعة، وكان عمره آنذاك ثلاثين سنة، وقد اتسم بالشجاعة في القتال والمهارة بالرمي بالقوس.

وشرع يوزع الهدايا على الجميع بكرم زائد، وأعطى جميع الكنوز التي جمعها مليح كما أنه ملك قلوب الجميع وعقولهم بالمآدب والاحتفالات التي كان يقيمها، وتمكن إلى حيث ذهب مع رجاله من هزيمة الأعداء بكل شجاعة، وهكذا استطاع احتلال طرسوس، وأذنة والمصيصة، وكان في بداية حكمه قد أغرق الأعيان بشكره الكبير، لما أسدوه له من خدمات حين اقتلعوا عمه وأجلسوه على عرش أجداده، ومع هذا وعد بجوائز أفضل وأعطيات أعظم للذين قتلوا عمه، إذا ما عرف الأيدي التي قامت بذلك.

وتقدم إليه رجلان، أغرتهما الفتنة، وقالوا له: «نحن اللذان قتلناه بأيدينا حباً فيك»، وشكرهما روبين، وتظاهر بسروره بذلك، ثم أمر باعتقالهما، وبوضع حجر في عنق كل واحد منهما، ورماهما في النهر سراً، وكان اسم أحدهما ياهان Yahan، واسم الآخر — وكان خصياً — ألب الأريب Alpllarip .

وعندما رأى روبين أن قوته قد ازدادت، قرر مهاجمة لامبرون التي مكث فيها ثلاث سنوات، وسبب بذلك الرعب لسكانها، والذي دفعه إلى مهاجمتها ما كان يسود بين الطرفين من نزاع قديم، ومع هذا لم يتمكن من الاستيلاء عليها.

#### ١٤ — مصاعب البيزنطيين

في سنة ٦٢٥ (٦ — شباط ١١٧٦ — ٤ شباط ١١٧٧) قطع قلعج أرسلان، سلطان قونية الطريق على الامبراطور الإغريقي، بعد مدينة

قونية، مقابل أطلال قلعة ملطية، وبعدهما أسره، أطلق سراحه، لكن بعد أن عقد معه معاهدة تحالف مختومة وموثقة.

وفي سنة ٦٢٦ (٥ شباط ١١٧٧ - ٤ شباط ١١٧٨) توفي كير مانويل، امبراطور الإغريق، واعتلى العرش من بعده ابنه ألكسيوس.

وفي سنة ٦٢٧ (٥ شباط ١١٧٨ - ٤ شباط ١١٧٩) ثار أندرونيكوس على ألكسيوس وقتله، وحل محله في حكم الامبراطورية.

وفي سنة ٦٢٩ (٥ شباط ١١٨٠ - ٣ شباط ١١٨١) قُتل أندرونيكوس، وتسلمت آن الحكم.

#### ١٥ - نشوب سوء تفاهم بين رويين وأخيه ليون

في سنة ٦٣٠ (٤ شباط ١١٨١ - ٣ شباط ١١٨٢)، ذهب البارون رويين إلى القدس مع وفد كبير، وتزوج من ابنة صاحب الكرك وعاد، وكان أخوه ليون خائفاً منه، لأن الناس كانوا يتهمونه بشدة، ويقولون لرويين بأن أخاه ليون يخطط للثورة عليه، فما كان منه إلا أن التجأ إلى طرسوس، ومن ثم سافر من هناك بحراً إلى القسطنطينية، حيث حتمته العناية الربانية، وحيث لقي حفاوة كبيرة، واستقبل باحترام من قبل عدة من رجال الامبراطور.

وفي سنة ٦٣١ (٤ - شباط ١١٨٢ - ٣ شباط ١١٨٣) رجع ليون من القسطنطينية، والتحق بأخيه، الذي أحسن استقباله، وعامله بمودة، وأعطاه قلعة كابان Kapan.

#### ١٦ - اعتقال رويين في أنطاكية

كانت لدى رويين مشاريع توسعية، وقد ذهب إلى أنطاكية، وهناك اعتقله أميرها، وألقاه في السجن، أما الأعيان الذين كانوا معه فقد هربوا ونجوا سالمين وعادوا إلى بيوتهم، وقد حدث هذا في سنة ٦٣٤ (٣)

شباط ١١٨٥ — ٢ شباط ١١٨٦).

وأرسل بعدها روبين إلى خاله باكوروان، ليعث إليه برهائن يعطيهم إلى الأمير بدلاً عنه، حتى ينال حرитеه لكي يجمع فديته، وبناء عليه أرسل باكوروان أخته أم روبين وبعض الأقارب، وتنازل روبين لأمر أنطاكية كفدية عن: ساروانديكار (٧) Sarvandikar ، وتل حمدون، وشكر Cker (٨) ، ووعده بدفع ألف «دهكان Dahkans»، وبعدما أطلق سراحه، عاد إلى بلده، ثم أعطى أمير أنطاكية ما وعده به، وحصل مقابل ذلك على حرية الرهائن.

### ١٧ — وصول ليون الثاني إلى الحكم

في سنة ٦٣٦ (٣ شباط ١١٨٧ — ٢ شباط ١١٨٨) توفي روبين، فانتقل الحكم إلى أخيه ليون، الذي كان رجلاً عظيماً، لم يبحث في أي مناسبة من المناسبات عن الانتقام من أي كان، بل كان على العكس من ذلك، وقد سلم أموره للرب حتى يدبرها له.

وكان أميراً ذكياً ومقتدراً، وفارساً بارعاً، وشجاعاً في أعمال الحروب، ونبيلاً في تحقيق الأعمال الإنسانية، أو الربانية، و متواضعاً، وصاحب وجه واضح التقاسيم.

### ١٨ — بدايات ظهور أمر صلاح الدين

كان في هذه الآونة يوسف بن أيوب، المسمى صلاح الدين يحكم: حلب، ودمشق، ومصر، وكان هو وأخوه العادل (٩) بالأصل من منطقة دوين، وكان أبوهما فلاح كردي اسمه أيوب ، وكان صلاح الدين وأخوه قد تركا بلدهما ليشربا الخمرة، فجاءا ودخلا في خدمة نور الدين صاحب حلب، وقد أشفق نور الدين عليهما، وتصدق عليهما في كل مناسبة، فصارا خادمين وفين له، وترقيا بالمناصب وامتلكا يوماً بعد يوم بعض السلطة، وبالمال الذي كسباه أكلا وشربا مع الجميع، وهذا ما

أكسبها صداقة الناس جميعاً، ومكنها من حكم بلاد كثيرة، ولما رأى صلاح الدين ازدياد أهميته وقوته، صار رجلاً فظاً، وأخذ يهدد المسيحيين، وتعاضمت قوته يوماً إثر يوم، واستغل كل مصادر طاقته لضرب المسيحيين، فدمر بضربة واحدة قوتهم في جميع مناطق حكمهم.

## ١٩ - فاجعة حطين

وزحف صلاح الدين في السنة نفسها ضد ملك القدس، فقام الملك، وفرنجة الساحل، والرهبان الذين يرتدون ثياباً تحمل شارة الصليب (من الداوية والاسبتارية)، بالاحتشاد، وذهبوا وعسكروا على مرأى من صلاح الدين، وكان جيش الفرنجة قد عسكر فوق تلة، ولذلك كان يشكو من قلة الماء.

وعندها تنكر صاحب طرابلس لدينه، بعث إلى صلاح الدين يقول: «ماذا تعطيني إذا أزلت معسكر المسيحيين من مكانه، وأخذتهم إلى مكان لا ماء فيه، ويمكنك في الوقت نفسه أنت وفرقك العسكرية إقامة معسكركم إلى جانب الماء؟» فوعده صلاح الدين بجزيل العطايا، والأموال الكثيرة، ووثق ذلك بعقد مكتوب.

وإثر هذا قرر صاحب طرابلس الخائن أن يقدم إلى الملك والقادة النصائح التالية بقوله: «ليس في صالحنا البقاء هنا، هيا فلنذهب من هنا ولنعسكر على التلة، وبذلك نغطي ساقه قواتنا ونقوي الدفاع عن أنفسنا»، ولقد تمكن من إقناع الجميع، وجعلهم يصدقون كلماته المسمومة، وعندما رحل المسيحيون عن مكانهم، جاء السلطان، وأقام معسكره إلى جنب الماء، وهنا لم يعد بإمكان المسيحيين شرب الماء، ووجدوا أنفسهم في خيبة أمل وحيرة عظيمة، وصعب عليهم إيجاد مخرج لوضعهم.

وعندها استسلموا في يأسهم للموت، ومضوا إلى القتال، وهرب

الحاكم الخائن لطرابلس، وأذى المسيحيين، وسبب خسارتهم، وهزيمتهم، ودخل الذين قرروا الموت إلى الحرب، وقد طال أمد القتال، وكان معظم المسيحيين بالأسفل، وخارت قوى الرجال والبهائم، وانهاروا بسبب العطش، فقد كان هناك حر شديد، وريح حارقة، وضاعف الأعداء ضرباتهم حتى تمكنوا من سحق الجميع.

## ٢٠ — استسلام غي لوزغان إلى صلاح الدين

وكان الملك قد التجأ مع ثلاثة من المحاربين إلى قمة تلة هناك، فبعث إلى السلطان وطلب منه قبول استسلامه، فأرسل له السلطان قوة لحمايته ومرافقته حتى يلتحق به.

ولدى وصول الملك خرج السلطان إلى استقباله، ووقف أمامه باحترام وصافحه بقوة وقبله، ثم أخذه من يده، وأدخله إلى خيمته، وأجلسه على وسادة إلى جانبه، وذلك حيث جلس بكل احترام وقال له: «أيها الملك المبجل مرحباً بك وألف مرحباً في بيت أخيك، ولا تحزن أبداً من مصير الحرب، فتارة نريد أن نكون الرابحين، وإذا بنا من الخاسرين، وأنت ملك جدير بالتقدير، وعادل تحترم وعودك، وهذا يروق لي، ولهذا لن تنقص شعرة واحدة من رأسك، ولأجلك سوف أعفو عن كثيرين، وذلك تقديراً لك، ولسوف أعيد الحرية إلى العديدين».

## ٢١ — النهاية المشؤومة لرينودي شاتيون (أرناط)

وفيا كانا يتحادثان هكذا، أحضر رينو أمير طرابلس (١٠) إلى أمام صلاح الدين، ولدى رؤيته وقف الملك، فوقف السلطان من أجل وقوف الملك، فقال السلطان لرينو أمير طرابلس، الذي كان قد سلم الملك وخانه من أجل الهدايا: «إعلم أيها الخائن أنني لم أقف من أجلك، بل من أجل ملكك»، فأجابه الكونت قائلاً: «وأنا لا أتوجه إليك

بالشكر، بل أشكر ملكي»، وهنا طلب الملك بعض الماء ليشربه، فأمر السلطان بإحضار كأس من الذهب فيه ماء محلى ومثلج ومزوج بهاء الزهر، وتناول السلطان الكأس وشرب منه قليلاً للتذوق، ثم أعطاها إلى الملك، فشرب نصفها وأعطاها إلى أمير طرابلس الذي شرب بدوره، وهناك قال السلطان للأمير: «لم أعط الماء لك، ولكنني أعطيته إلى الملك»، فأجاب الأمير السلطان قائلاً: «وأنا لن أقول لك شكراً بل للملكي»، فقال السلطان للأمير: «أيها الخائن كم من المرات وعدتني وأخلفت الميعاد، وأمنتني وخنت الأمانة، فخرقاً منك لما وعدتني به أسرت وسجنت وقتلت عدداً من الناس، واستوليت على أموالي على طريق دمشق وغير ذلك، وكنت السبب في إراقة الدماء في سيرسيم Sersim ، دون أن تتذكر وعودك، فما الذي عندك لتجيبني به؟» فأجابه الأمير بالكلمات التالية، ورد على السلطان صلاح الدين بقوله: «لانتج عالياً، وافعل ما يطيّب لك، لقد مضى عليّ أربعون سنة وأنا أخاطر بدمي ضد المسلمين، والآن إنني لا أبالي مطلقاً بالموت»، وهنا أشار السلطان إلى خدمه، فأمسكوا بالأمير من رجليه ويديه، ويطحوه أمام السلطان، الذي أشهر سيفه وضربه على وسطه، ثم قام الخدم بالإجهاز عليه، ولدى رؤية الملك ما حدث انبهر وارتعب، فقال له السلطان: «لا تأبه لموت من خانك».

## ٢٢ — مقتل الداوية صبراً

ثم جرى إحضار الداوية مع مقدمهم، وأوقفوا أمام السلطان الذي قال للمقدم: «أيها المقدم المحترم للداوية، مهما كانت الأفاعيل التي أوقعتموها بجيشنا، فأنا أحترمكم، وفيما يخصني، ومن أجل شجاعتكم، إذا ما قمتم بالتخلي عن دينكم، ومن ثم الدخول بدين الإسلام، فإنني سوف أمنحكم العطايا وأشرفكم، وأقدمكم في جميع أرجاء ملكي الشاسعة، خاصة لك»، فأجابه المقدم بالكلمات التالية: «أيها السلطان

العظيم، إنه فيما يخصني فأنا موافق، ولكن إذا سمحيت لي وأذنت بالتشاور مع أخوتي حتى أقنعهم بالقبول والطاعة»، فسمع صلاح الدين يقول: «الذي ينفذ أمري يعيش، والذي يرفضه سوف يموت بحد السيف»، وجمع المقدم رجاله من الداوية وخاطبهم قائلاً: «أيها الأخوة، ها قد حلت أيام قوة أرواحنا وصمودها الذي سيحولنا دخول الجنة، إنني أتوسل إليكم أن تظلوا صامدين ومتماسكين في حب المسيح، وسوف نمزج اليوم دمنا مع دمه، ونحن لانخاف من الذين يقتلون الأجساد، ولكن من الذي له سلطة على الروح وعلى الجسم، ولن نعبأ بمتاع هذه الحياة العابرة»، كما قال لهم أقوالاً كثيرة، وأسمعهم مقاطع من الكتاب المقدس، وشجعهم على الموت في سبيل إيمانهم، وبعدما عاد إلى السلطان قال له: «هناك من أبدى الاستعداد للطاعة إليكم، وهناك من اعترض، لذلك أرجو الأمر بإحضارهم أمامكم».

وعندما أحضروا بدأ السلطان يسألهم واحداً تلو الآخر، وحيث أنهم رفضوا الاستجابة لعرضه، أمر بقتلهم، ثم قال بعد ذلك للمقدم: «وأنت كيف تنوي النظر إلى ديننا؟»، ولم يجبه المقدم بل جمع لعبه بفمه وبصقه على وجه السلطان، كي يزداد غضبه ويأمر بقتله على الفور، فبذلك يكون قد أرسله للالتحاق بأخوانه الروحانيين، وليكون بجوارهم، ثم أضاف يقول إلى السلطان: «إنني أنا الذي أمرتهم بالموت حتى يتوصلوا إلى الحياة السامية، إذ كيف لي الانصياع إلى أوامرك؟»، فأمر السلطان بقتله أيضاً، وعندما قتلوه، انتشر نور عمّ السماء فوق الأموات، ودام لمدة ثلاثة أيام، وكان ذلك عاراً للخونة وانتصاراً للأوفياء الأمناء، وبعد الفراغ من كل شيء أطلق السلطان سراح الملك ومنحه الهدايا له ولحاشيته.

## ٢٣ — فتح القدس

ثم أمر صلاح الدين أنه يتوجب على كل واحد من سكان القدس

دفع فدية قدرها داهكان مصري واحد، وبإمكانه أن يأخذ معه ما يريد من منزله، ومن ثم يذهب بسلام، أما الذين يودون البقاء فعلى كل واحد منهم دفع جزية سنوية مقدارها داهكان أحمر (١١)، وارتحل عدد كبير كما بقي الكثيرون، وبهذا تمكن صلاح الدين من الاستيلاء على القدس وعلى المناطق التابعة لها شيئاً فشيئاً، ولقد استولى على كل بقعة من البلاد حتى منطقة أنطاكية، وكان المسيحيون جميعاً يرتجفون رعباً أمامه.

## ٢٤ — احتلال رستم لكليكا

وجمع في هذه السنة نفسها تركماني اسمه رستم حشداً من التركمان، ودخل إلى بلد الكليكيين، وعمل جاهداً على إيقاف استمرار اسم المسيحيين، وزحف متقدماً حتى غاية سيس، وقد عسكر أمام هذه المدينة، على محاذة راوين Rawin، وارتفاعها، وقد اجتاحوا البلاد وغطوها بكثرة عددهم، لكن ليون القوي بالحماية الربانية حاربهم وانتصر عليهم، وقتل قائدهم، مع أنه لم يكن معه أكثر من ثلاثين من الرجال، ولدى فرارهم طاردهم ليون وأنزل بهم الخسائر وبددهم وصولاً حتى سروانديكار Sarwandikar، وانتشرت إشاعة بين الناس تحدثت عن نزول جنديين قويين من قلعة سيس، وقيامهما بسحق العدو، وكانا هما: القديس جرجس، والقديس تيودور.

## ٢٥ — احتلال براكانا من قبل ليون الثاني

في سنة ٦٤٧ (٤ شباط ١١٨٨ — ٢ شباط ١١٨٩) قتل القائد السير بلدوين أمام قلعة براكانا (١٢) Prakana، ذلك أنه حاول احتلالها على حين غرة، وهذا وتمكن ليون من الاستيلاء على هذه القلعة بعد مضي شهرين، ووضعها تحت سيطرته بعدما قتل شحنة القلعة الذي اسمه الأمير تبلي Tipli مع مائتين من التركمان، والأمير تبلي هذا هو

الذي كان قتل بلدوين.

## ٢٦ — أحلاف زواجية بين أسرتي أنطاكية وساسون

وكان في هذه الأثناء أبناء كورتونيل Cortuanel صاحب ساسون Sasun والذين كانت أمهم أخت تيرغريغور جاثليق الأرمن، يعيشون مع ليون، وكانوا رجالاً ذوي مظهر جميل، وكان ليون قد أعطى زوجة إلى هيتوم وهو الأكبر، الابنة الكبرى لأخيه روبين، المسماة أليس، ومنحه معها مدينة المصيصة، وحصل بالوقت نفسه شاهنشاه على سلوقية، أما فيما يتعلق ببنت روبين المسماة فيليبيا، فقد أقامت بجوار أم ليون، وبالنسبة إلى ليون نفسه، فقد اتخذ زوجة له من أنطاكية ابنة أخ (أو أخت) زوجة الأمير، وقد قبلت بزواجه بكل حرارة، وشعر ليون من جانبه بسرور عارم لأنه كان يخاف من أمير أنطاكية، الذي خشيه الأرمن دوماً، وقد قدر ليون أن زوجة الأمير، بحكم قرابتها بزوجه سوف تشفع له عند الأمير، وتدرأ المخاطر عنه، وهذا ما حصل بالفعل.

## ٢٧ — صليبية فردريك بربروسا

في سنة ٦٣٨ (٣ شباط ١١٨٩ — ٤ شباط ١١٩٠) انطلق امبراطور الألمان على رأس جيش عظيم، وزحف حتى وصل إلى القسطنطينية، ثم سار حتى قونية فتمكن من احتلالها وإلحاق الهزيمة بقلج أرسلان، وقد أودعه قلع أرسلان ثلاثين رهينة من أعيان رجاله، ودفع له مائة ألف داهكان، وعقد هدنة معه وصلاحاً، ثم زحف الامبراطور حتى سلوقية، وبما أن الفصل كان حاراً جداً في ذلك الصيف، فقد نزل الامبراطور إلى النهر ليستحم، فجرفه التيار، ولم يستطع المقاومة، لأنه كان رجلاً كهلاً، فغرق ومات، ويحكى أنه قيل له بأنه سيموت غرقاً في الماء، وهذا ما دفعه إلى الارتحال برأ، وقام بهذه الرحلة الطويلة برأ.

ووصل ابنه بعد وفاته إلى عكا، ثم توفي هناك بعد ستة أشهر، فتشتت

قواته ثم عاد معظم الذين بقيوا منها.

## ٢٨ — حصار عكا من قبل الفرنجة

في سنة ٦٤٠ (٢ شباط ١١٩١ — ١ شباط ١١٩٢) وصل ملك الفرنجة بالسفينة إلى عكا مع قوات كثيرة، وحط رحاله أمام المدينة، وكانت المدينة ملكاً لصلاح الدين ولهذا بادر مسرعاً إلى هناك وأقام مخيمه أمام مخيم الفرنجة، وحفر الفرنجة ثلاثة خنادق من حولهم، وحصنوا موقعهم تحصيناً عظيماً، ونشروا الكمائن من حولهم، وبذلك وضعوا المدينة في خطر شديد، وحالوا بين السلطان وبين مساعدة سكانها، وقدم وقتذاك ملك الانكليز، ووصل إلى قبرص أولاً حيث استولى عليها، وانتزعها من أيدي الإغريق، واعتقل دوقها الذي كان من آل كومينوس، وحمله معه إلى عكا، وهناك وَّحد الملكان قواتهما، وقاتلا معاً ضد السلطان، وضد سكان المدينة، وعندها بعث السلطان إلى الملوك يقول: «خذوا مدينتكم وبيعوني الرجال بوزنهم ذهباً وفضة»، فأجابوه يقولون: «كان يجب علينا أن نفعل ما طلبته ونستجيب لما رجوته، وذلك احتراماً لشخصك، ولكن بما أنه تقدم وأقسمنا بحق الضريح المقدس، بأن نستعرض الناس جميعاً بسيفنا، لا يمكن لنا أن نهنت بقسمنا»، ثم استولوا على المدينة، وقتلوا ستة وثلاثين ألف رجل، في حين لاذ صلاح الدين بالفرار.

## ٢٩ — مجاعة في أنطاكية

في سنة ٦٤١ (٢ شباط ١١٩٢ — ٣١ كانون الثاني ١١٩٣) كانت هناك مجاعة مروعة في أنطاكية، وكانت من القسوة بمكان أنه من الصعب إعطاء فكرة مكتوبة عنها، وقد مات عدد كبير من الناس، إلى حد أنه بات من المتعذر دفن الموتى، ولقسوة الأوضاع، رأى الأحياء أن الذين ماتوا قد ارتاحوا، وعندما جاء الربيع أكل الناس الأعشاب في

الحقول، وفعلوا مثلها ترعى الأغنام، ولما كانوا غير معتادين على هذا النوع من الأطعمة، سقطوا موتى جميعاً.

وتوفي في السنة نفسها قلعج أرسلان، سلطان قونية، ومن جانبه أخذ صلاح الدين يشن بعض الهجمات الصغيرة على أنطاكية في سبيل الاستيلاء عليها، لكن المنجمين قالوا له: «لا يمكنك الاستيلاء عليها»، فأقلع عن خطته وتخلي عن فكرته.

وظلت أنطاكية تشكو من المجاعة، وتعاني منها، لأنه خوفاً من السلطان لم يدخل إليها أي طعام، وعند ذلك قال السكان للأمير: «إننا نموت الآن جوعاً، ماذا سنفعل؟»، فأجابهم بقوله: «امنحوني مهلة خمسة عشر يوماً، ووقتها سوف أعطيكم الجواب».

وانطلق الأمير إثر ذلك مع خمسين من الفرسان، للاجتماع بصلاح الدين، الذي كان ما يزال مخيماً أمام عكا، وعندما وصل إلى غايته، وقف على باب خيمة صلاح الدين، وقال للحراس: «قولوا للسلطان إن أمير أنطاكية بالباب يسأل مقابلته»، وعندما سمع صلاح الدين بذلك خرج مسرعاً لتلقي الأمير، وقد صافحه، ثم أدخله إلى داخل خيمته، وطلب منه الجلوس، وهنا قال الأمير: «لي عندك حاجة، ولن أجلس حتى تقضيها لي»، فأجابه صلاح الدين بقوله: «ما تطلبه مجاب، قل ما تريده»، فقال الأمير: «إهدائي أنطاكية»، فقال السلطان: «طلبك مجاب، وفضلاً على ذلك سوف أعطيك أنت ومدينتك طعاماً يكفي لمدة ثلاث سنوات»، وبعد هذا أبرم اتفاق بين صلاح الدين والأمير، وعاد الأمير إثر ذلك إلى مدينة أنطاكية، التي توفرت فيها الأطعمة بكثرة.

٣٠ — كمين عند بغراس

في سنة ١١٤٢ (١) — شباط ١١٩٣ — ٣١ كانون الثاني ١١٩٤)، عندما رجع الأمير من عند صلاح الدين قرر أسر ليون واعتقاله

بمساعدة زوجته، غير أن هذه الأميرة قالت له: «لا تقترب هذه الحماقة لأنه صهري، وقد جاء في كل الأوقات وساعدك، وكان ثانيك في حملاتك الحربية»، لكن الأمير لم يتخل عن أفكاره السوداء، فوجه الدعوة إلى ليون للقدوم إلى عنده، وفي طريقه وقف في بغراس، وهناك أخبرته زوجة الأمير سراً بشأن الخطة المبيتة ضده، وهنا بادر ليون إلى توجيه الدعوة إلى الأمير وإلى زوجته للحضور إلى بغراس، كي يقدم لهما شرف الضيافة، ويذهب بعد ذلك برفقتها إلى أنطاكية، فحضرا طوعاً، وخرج ليون لاستقبالهما، ورافقهما بأبهة وبحفاوة عظيمة إلى بغراس، وهناك انفرد بالأمير واعتقله، ثم نقله من هناك وسجنه في قلعة سيس، حيث بقي هناك مسجوناً.

### ٣١ — تهديد الأيوبيين باحتلال كليكية

وفي هذه السنة نفسها بعث السلطان صلاح الدين إلى ليون يطلب منه إعادة كليكية إلى المسلمين والتخلي عنها، حيث بإمكانه الذهاب إلى حيث شاء، وهنا تساءل ليون عما يمكن أن يفعله وتملكته الحيرة، فتضرع إلى الرب، وإليه التجأ، ومن ثم قال لرسول السلطان: «قل للسلطان: ليس لدي أرضاً أعطيها له، لكنه إذا قدم إلى بلدي فسوف أسقيه مرّ طعم السيف مثلما حدث لمتقدمه رستم»، وغضب صلاح الدين لدى سماعه هذه الإجابة، وزأر وزجر مثل الأسد، وجهاز عساكره للدخول إلى كليكية لإبادة أتباع المسيح.

وزحف حتى وصل إلى النهر المسمى نهر صو، وعندها داهمه مرض، كما أودى المرض بحياة ابنه وولي عهده «الملك الظاهر» (١٣).

### ٣٢ — اعتقال غريغور الخامس كراويز

وفي يوم ١٦ — أيار من السنة نفسها، استدعي إلى ربه جاثليق الأرمن تيرغريغور، وحدث ذلك في بلاد الكليكيين، وقد دفن في

درازارك (١٤) Drazark ، فخلفه في منصبه ابن أخته بهرام الذي حمل الآن لقب تيرغريغور، وكان طفلاً غريباً.

وتوفي في هذه السنة بعض الأمراء من فئة الأعيان، وكان منهم ابني أخت الجاثليق، ويتقدمهم هيتوم، صهر ليون من خلال زواجه من ابنته أليس وكذلك شاهنشاه، وحدثت وفاتها في الشهر نفسه الذي توفي فيه خالهما، ويحكى بأن ليون كان سبب وفاتها، ولكن الله وحده يعلم الحقيقة.

وعندما دخل الجاثليق غريغور بالخدمة، ضاق به الحال ولم يعد يحتمل تلقي الأوامر من الجميع، وكأنه مأمور وليس بأمر، ففعل كما فعل خاله من قبل بالاهتمام بشؤون الكاتدرائية فقط، وهنا جرى إبلاغ ليون بأن هذا الرجل لا يمتلك الحكمة الكافية لإدارة شؤون الكاتدرائية حسب تعاليم وظيفته، وجرضوا ليون عليه حتى استجاب لهم، فبعث به إلى قلعة هورومكلي Horomklay إلى رئيس الأساقفة تير يوهانس، ليتصرف معه حسبما تمليه عليه عقيدته، وبعدما وصل الجاثليق إلى هذه القلعة التقى بتير يوهانس، الذي استقبله كضيف وقريب، لكن عندما اجتمعوا حول المائدة لتناول طعام الغداء، أشار رئيس الأساقفة بيده إلى رجال الخدمة من حوله، فبادروا إلى إغلاق أبواب القلعة، وعلا الضجيج لبعض الوقت وسادت الفوضى، فاعترت الجاثليق الدهشة فسأل تير يوهانس: ما هذا الضجيج الذي أسمع؟ فأجابه بكل برود: أنت سجين، وهكذا جرى اعتقال الجاثليق وألقي به في السجن تحت حراسة فائقة ومشددة.

وعندما انتشر الخبر في خارج القلعة، وفي داخل القرية، احتشد الجميع وزحفوا يحملون السلاح بنية الهجوم على القلعة، وإنقاذ الجاثليق، وحاصروا القلعة لمدة ثلاثة أيام، ورموا نحوها بالنشاب، لكن بدون جدوى.

وحمل تيريوهانس الجاثليق إلى ليون، فقام هذا بوضعه في قلعة كوبيتار Kopitar ، وجعله هناك تحت الحراسة لبعض الوقت، لكن سكان هورومكلي الممزقة قلوبهم حزناً لاعتقال الجاثليق، ولعدّهم ذلك ظلماً، راسلوا الجاثليق سرّاً، يقولون له: إذا ما وجد طريقة للهروب من القلعة، فسوف يحضرون له حصاناً ليعيدونه إلى هورومكلي حيث سيسترد منصبه، وأخذ هذا الجاثليق بكلامهم وتصرف تصرف الطفل الغرير، حيث أخذ غطاء فراشه، وربطه وتعلق به وتدلّى ليلاً للفرار من القلعة، لكن الحلقة التي ربط بها الغطاء انقطعت فهوى الجاثليق، وسقط على الأرض، فمات لساعته.

وحمل — بعد هذا — جثمانه إلى درازارك Drazark ، حيث دفن قرب قبر خاله، وكان ذلك سنة ٦٤٥ بالتقويم الأرمني (١ شباط ١١٩٤ — ٣١ كانون الثاني ١١٩٥).

واختير في السنة نفسها تيز غريغور جاثليقاً جديداً، بلقب أبيرات Apirat، وكان ابناً للقائد، وأخاً لكل من الجاثليق تيرغريغور، وتير نرسييس، وكان رجل حكمة وعلم، يباشر مسؤولياته اليومية، ووصل إلى الشيخوخة بعدما أتم عمله على أكمل وجه.

### ٣٣ — تحالف ليون الثاني مع البيت الأنطاكي

وبعدما اعتقل ليون أمير أنطاكية، أبقاه في السجن بعض الوقت، حتى حضر أمير من الأسرة المالكة من عكا، وكان هذا هو الكونت هنري، وقد طلب هنري من ليون إحضار الأمير، فوافق على ذلك، وهنا عقد هنري بينها صداقة ووصاية، وبموجب ذلك سمح لابن الأمير ريموند بالزواج من ابنة أخيه روين، التي كان اسمها أليس، وكانت قد تزوجت من قبل بهيتوم أخو شاهنشاه، شرط أنه إذا ما أنجب ولداً ذكراً، يصبح وريثاً لليون وبعد وفاة أبيه ريموند تدخل أنطاكية في

ظل حكمه، وقد اتفقوا على هذا، وتعاهدوا عليه كتابة وبموجب القسم.

وعاش ابن الأمير مع ليون وصاحبه ولم يفارقه في حله وترحاله، لكنه توفي بعد وقت قصير، وخلف زوجته حاملاً، وعندما حان الوقت، وضعت هذه السيدة مولوداً ذكراً، مليئاً بالحياة، وجميلاً، وبهي الطلعة، ولما كان ليون لا يمتلك ولداً يحق له وراثته الحكم من بعده، فقد عمّد المولود الجديد تحت اسم روبن، وربّاه بعناية فائقة.

### ٣٤ — تتويج ليون الثاني

في سنة ١١٦٤ (١ شباط ١١٩٦ — ٣٠ كانون الثاني ١١٩٧)، بعث امبراطور الإغريق إلى ليون تاجاً رائعاً، معبراً بذلك عن التحالف والصدّاقة، فتقبله ليون بكل فرح.

وفي سنة ١١٦٦ (٣١ كانون الثاني ٩٧ — ٣٠ كانون الثاني ١١٩٨) بعث ليون إلى القسطنطينية برئيس الأساقفة تير نرسيس ابن دي أوشين، والأمير النبيل هلکم ابن باكوران، وخال ليون، لطمأنة الإغريق بشأن حسن نواياه نحوهم، وصدقها تجاههم، وبما أن تير نرسيس كان رجل علم وحكمة، فقد تخلّق من حوله العلماء الإغريق، وتحدّثوا لأيام عدة حول الإييان والنظام اللاهوتي، وقد تمكّن تير نرسيس من إقناعهم.

وفي السنة نفسها أقاموا أعياد الفصح في موعد خاطيء، وفي السنة نفسها أيضاً أرسل ليون إلى عكا رئيس أساقفة مدينة سيس، تيريوهانس، للمطالبة بالتاج الذي كان امبراطور الألمان قد بعث به عن طريق العساكر الذين وصلوا إلى تلك المدينة، وكان البابا قد بعث إلى تلك المدينة برئيس أساقفة نائباً عنه.

وفي سنة ١١٦٧ (٣١ كانون الثاني — ٣٠ كانون الثاني ١١٩٩)، وفي يوم العيد من شهر كانون الثاني ويوم العيد هو يوم الاحتفال الرئيسي

بعيد ختان المسيح، جرى تتويج ليون ملكاً على الأرمن، في ظل سيادة الكنيسة الرومانية والامبراطور الألماني، ولقد كانت فرحة الشعب الأرمني كبيرة جداً بتتويج هذه الشخصية الثقية الطيبة، وأعني بذلك الملك ليون.

وفي السنة نفسها التحق تيرنرسييس بن أوشين، وأخو قسطنطين صاحب لامبرون بالمسيح.

### ٣٥ — أمراء كليكية في حقبة التتويج وأعيانها

ويتوجب علينا الآن الحديث عن بعض ما تمتع به الشعب الأرمني في عهد ليون، ذلك أن الملك ليون كان رجلاً عاقلاً ومهماً، وجميل الوجه، له قلب كريم إزاء الجميع سواء أكانوا من رجال الكنيسة أم من العلمانيين، وكذلك كان مع الفقراء والضعفاء، وفي أماكن الحج والأديرة، وكان أيضاً يمنح الهدايا التي تدل على طيبته وكرم نفسه، وكان يقيم في عيد الفصح مأدبة كبيرة، يدعو إليها جميع الشخصيات المعروفة، وذلك من جميع الأماكن، أي من كل مكان عرف بوجود شخص نابغ فيه في حقل ما، فقد كان يرسل في طلبه ويعده بالوعود الجميلة، وفعلاً كان ينفذ وعوده ويقدم الهبات السخية.

وهكذا توفر في كليكية عدد كبير من الشخصيات الكنسية، ومن الأمراء ذوي السلطان، وفيما يلي سأورد أسماءهم واحداً تلو الآخر:

— تير داويت Dawit ، رئيس أساقفة المصيصة، وراعي دير أركأكلين (١٥).

— تير غريغور رئيس أساقفة كابان، وراعي دير أريغ (١٦) .Areg.

— يوهانس رئيس أساقفة سيس، وراعي دير درازارك Drazark .

— تير يوسيب Yusep، رئيس أساقفة أنطاكية، وراعي دير يسوانك Yisuank .

— تير كوستاندين، رئيس أساقفة عين زربة، وراعي دير كاستالون Kastalawn .

— تير فاردان رئيس أساقفة لامبرون، وراعي دير سكيورا (١٧) Skewra .

— تير ستيفانوس، رئيس أساقفة طرسوس، وراعي دير مليك (١٨) Mlic .

— تير طوروس، أسقف سلوقية .

— تير أستواكتور Astuactur أسقف مكار Meckar .

— تير يوهانس أسقف سايفلانك Sivilank .

— تير جورج أسقف أندرياسانك Anddriasank .

— تير كوستادين أسقف يوهنانك Yohnank .

— تير غريغور، أسقف فيليبوسينك P'ilipposeank .

— تير ستيفانوس، أسقف بيردوس Berdus .

— تير مكسيتار أسقف عين كوزوت Enkuzut .

— آدم، أمير بغراس .

— هوستيوس Hostius، أمير كير Cker .

— آريوغون Arewgoyn، أمير هاموس Hamus .

— سمباط أمير سرونديكار Sarvandik`ar .

- ليون، أمير الهارونية.
- سيروهي (١٩) Sruhi أمير سيهانكلي Simanaklay .
- هنري أمير آني.
- القائد أبلاريب (٢٠) Aplla rip ، أمير كوتاف Kqtaf .
- بلدوين أمير عين كوزوت En kuzut .
- استيف Esteve أمير تورنيكا Tornika .
- ليون وغريغور أمير بيردوس Berdus .
- آشوت (٢١) أمير كك Kanc .
- أبلاريب (٢٢)، أمير فاورناوس Fawrnaws .
- تانكرد، أمير كابان.
- كوستاندين (٢٣)، أمير كانكي Canci .
- غريغوري (٢٤)، أمير سولاكان Sola Kan .
- سيمون (٢٥)، أمير مازوت اكسك Mazot Xac .
- روبرت، أمير تل (حمدون).
- طوروس، أمير تلساب (٢٦).
- القائد فازيل (٢٧)، أمير وانر vaner .
- جورج، أمير برجبريد (٢٨) Barjrberd .
- كوستاندين، أمير كوبيتار Kopitar .
- آزاروس Azaros، أمير مولوفون (٢٩) Mawlovon .

- سمباط، أمير كوكلاك (٣٠) Kuklak .
- هيتوم، أمير لامبرون.
- شاهنشاه، أمير لؤلؤة.
- باكوران، أمير بابروان Paperawn .
- فاساك، أمير أسكوراس Askuras .
- هيتوم، أمير ماناش Manas .
- مكسيل، أمير برداك Berdak.
- تيگران Tigran، أمير براكانا.
- أوشين، أمير سيويل (٣١) Siwil .
- سيمون، أمير كيوريكوس Kiwrikos .
- كونستانس، أمير سلوقية وبونار Punar .
- رومانوس أمير سنت Sinit وكوفاس Kuvas .
- نيكيفاوي Nikifawi، أمير فيت Vet وفيريسك Veresk .
- اكسرساوفاور Xrsawfawr أمير لافزات Lavzat  
وتيمتوبولس Timitupawlis .
- هلكم (٣٢)، أمير مانياون Maniawn، ولماوس Lamaws،  
وزرمانيك Zermanik، وأنامور Anamur .
- القائد هنري، أمير نوربيرد Norberd، وكوماردياس Ko-  
mardias
- بلدوين، أمير أنداو شك Andawsc وكوبا Kupa

— كيرساك، أمير ملوا Malva وسيك Sik ، وبالاباول Pal-opawl

— ميكسال(٣٣)، أمير مانوفلات Manovlat ، وألار Alar .

— كوستاندين ونيكيفاور، أمير لكراون Lakrawen .

— كيرفارد Kervard ، أمير كلاوناوراوز Kalawnawraws ،

وأيزوتاب Ayzutap ، وسينت — صوفيا، ونلاون Nallawn .

وخضعت قلعة المصيصة لبعض الوقت لسلطة الملك ليون، ثم آلت إلى السلطان.

وكان بعد وفاة الأمير بوهموند أن انضوى العديد من العساكر تحت لواء الملك ليون وخدموه، وكذلك فعل اللوردات التالية أسماؤهم: أولفرلي شامبلين، وروجر دي مونت جوارت Juart ، وتوماس ماسلبرن Maslebrun ، وباين لي بوتليير Bouteiller ، ووليم دي آيل Isle ، وذلك مع أمراء آخرين وعساكر شجعان، وبوساطة هؤلاء تمكن ليون من دفع الأعداء.

هذا وتجاوز أبناء قلعج أرسلان الذين كانوا يحكمون بلاد الروم كل الحدود، وانصرفوا نحو انتزاع القلاع، وتدمير البلاد وإنزالها إلى حال العبودية، وقد تصدى ليون لهم بشجاعة فائقة، وألقى بنفسه في وسط قوات الأعداء، وكان مسلحاً من قدمه إلى رأسه، وبذلك كان بطلاً لا يقهر.

٣٦ — محاولات ردع هيتوم — هلي صاحب لامبرون

وعلم ليون بإساءات سكان لامبرون، الذين شرعوا بالقتال ضد نصارى كليكية، وضد أسرة رويين، وقام الكونت يادس أوشين Ja-dis Awsin ، والد هيتوم بالحاق الهزيمة بالأتراك، وهاجم أذنة،

واستولى عليها بعد قتال عنيف جداً، ويقال بأنه أسر خمسمائة فتاة عذراء، وذلك بصرف النظر عن الأعداد التي لا يمكن حصرها من الأسرى الآخرين، وفكر ليون ملياً بما حدث، وقام بكل حصافة، وهو واثق من نفسه، باستدعاء هيتوم ابن صاحب أوشين، وفي نيته قتل غروره، وقد خطط لذلك ورسم عدة اقتراحات، فعندما لقيه قال له: لدي نية في عقد روابط للصدقة والتحالف بيني وبينك، وأن أزوجه فيليبيا ابنة أخي روين.

وقبل هيتوم كلام ليون بفرح، وجرى إثر ذلك الاحتفال بالعرس، وقدمت الأطعمة الشهية، واستغل ليون الفرصة، فرصة وجود هيتوم مع أسرته وجميع أمتعته، فاعتقلهم جميعاً، وأرسل عساكره ضد لامبرون، فاستولوا عليها لصالحه بكل سهولة وبدون مشقة، وإثر ذلك ألقى هيتوم في السجن، ثم أخرجه بعد وقت قصير، ومنحه عدة قرى ورد إليه اعتباره.

وخدمه هيتوم — الذي كان حكيماً وحصيفاً — بكل استقامة لأنه كان رجلاً عاقلاً مدبراً، يمتلك ذهنًا عميقاً، وثقافة عالية، ومع هذا ما لبث ليون أن اعتقله، وألقاه مجدداً في السجن، وهنا لبس هيتوم مسوح الرهبان، وعندما زاره الملك في السجن في واهكي Vahkay، التمس منه العفو، فاستجاب الملك لذلك، ومنحه حرية، ومن ثم صار قديساً في دير درازارك، حيث بقي هناك حتى يوم وفاته .

### ٣٧ — احتلال كرين من قبل السلاجقة

في سنة ٦٥٠ (٣٠ كانون الثاني ١٢٠١ — ٢٩ كانون الثاني ١٢٠٢) زحف السلطان ركن الدين باتجاه الشرق مع جيش لا يحصى لكثرتة، واحتل مدينة ثيودوثيوبولس التي تعرف باسم كرين Karin، وجاء احتلاله لها سلماً لأحرباً، ثم زحف ضد منازکرد، وهاجم قلعتها،

واعترض طريقه جيش الكرج، فهزمه، كما وهزم بهرام شاه صاحب ارزنكا Erzanka ، وألحق به خسائر كبيرة، وأقام السلطان حاكماً علي كرين أخاه طغرل شاه، ثم عاد إلى بلاده، وكان طغرل شاه رجلاً رحيماً، ربطته بالملك ليون روابط صداقة ومحبة، كما أنه كان محباً للنصارى، وهكذا مالبت أخو السلطان هذا أن عاد إلى بلاده.

### ٣٨— تكريس الجاثليق يوهانس السابع

في سنة ٦٥٢ (٣٠) — كانون الثاني ١٢٠٣ — ٢٩ كانون الثاني (١٢٠٤) تحدث الجاثليق تيرغويغور صاحب هورومكلي إلى الملك ليون حول موضوع ابن أخته هيتوم الذي كان مايزال في السجن، أي سجنه الثاني، وأطلق الملك سراحه، كما ذكرنا من قبل، وإثر ذلك التحق تيرغريغور بالمسيح في دير القديس أركأكلين Ark'akalin .

وفي هذه السنة نفسها عقد الملك ليون مجعماً دينياً للأساقفة، وقد تولى هذا المجمع اختيار تيريوهانس، رئيس أساقفة سيس، جاثليقاً للأرمن، وكان هذا الجاثليق صاحب معارف عميقة، مليئاً بالنشاط، وطبيباً ملكياً، ومتواضع النفس، وبسيطاً اهتم بالمسائل الروحية، وأحب البناء وعرف كيف ينظم الكنيسة بما هو ضروري للأمور اللاهوتية، وقد تولى تدعيم حصن هورو مكلي، كما حطم بعض الأشياء المتعلقة بالطقوس، مع العديد من الأواني الذهبية والفضية، ثم إنه قد عامل بتواضع ولطف كل من جاء ليراه، هذا وكان هذا الجاثليق من أسرة الهيتوميين، وهو ابن لقسطنطين أخو صاحب أوشين.

### ٣٩— مشاكل الخلافة بين السلاجقة

في سنة ٦٥٣ (٣٠) كانون ثاني ١٢٠٤ — ٢٨ كانون ثاني ١٢٠٥) مات ركن الدين تاركاً السلطة من بعده لابنه سليمان شاه.

وزحف في سنة ٦٥٤ الملك ليون ضد مدينة ألبستاي (٣٤)

(ألبستان) لاحتلالها، غير أنه أخفق وعجز عن احتلالها، ووصل في هذه السنة أيضاً خسرو شاه بن قلج أرسلان، من القسطنطينية، وأراد الاستيلاء على بلاد آبائه.

#### ٤٠ — طلاق ايزابل الأنطاكية من قبل ليون الثاني

وذهب في هذا الوقت الجاثليق تير — يوهانس الى الملك ليون، الذي كان ينتظره للبت في موضوع أميرة أنطاكية، التي كان الملك قد تزوجها، وسرت إشاعات بأن الملك الذي كان ميالاً للثأر، قد أمر بقتل عدد كبير من الأشخاص الذين كانوا محيطين بالملكة، وضرب زوجته بعنف، ووضعها بين يديه يريد قتلها في تلك اللحظة، لكن كوستاندين ابن خاله فاساك تمكن من انتزاعها من يديه، وهي نصف ميتة، ولهذا أرسله الملك إلى السجن في واهكي، ورزق ليون منها بابنة سماها ريتا، وقد تولت أمه تربيتها له.

#### ٤١ — اغتصاب بوهموند الأعور لأنطاكية

في عام ٦٥٥ (٢٩ كانون ثاني ١٢٠٦ — ٢٨ كانون ثاني ١٢٠٧) مات أمير أنطاكية المدعو بوهموند، وحل محله ابنه الذي (كان كونت طرابلس، وكان أعور) وبعث له الملك ليون رسولاً أخبره بأن أباه قد عقد ولاية العهد إلى ابنه البكر، حسبما ذكرنا من قبل، ولم يعجب هذا الكونت ذلك، ولم يرد أن يكون لأخيه الحق، وقد أرسل من جديد رسالة إلى بطريك أنطاكية فيها وثيقة تعيينه من قبل أبيه، وقد برهن على حقوقه، غير أن البطريرك لم يوافق عليها، وأعطى الشرعية إلى أخيه دون أن يهتم بالكونت، واستولى الكونت على أنطاكية وهنا حرم البطريرك أنطاكية، وأمر بأن لا تدق الأجراس في أنطاكية، وقضى بتوقف القداسات ودفن الأموات، وذلك قبل عودة الكونت إلى الصواب، وأقدم هذا الكونت، رداً على ذلك، وتجراً على اعتقال البطريرك، وزجه

في السجن، حيث تعرض إلى إساءات شتى، وذلك إضافة إلى الجوع والعطش، وقال له: «ثق بأن مصلحتي أن أكون أنا حاكم أنطاكية الشرعي، وبرضاك سوف تمتلك الحرية والحياة والخلاص، لكن البطريك فضل الموت في السجن جوعاً وعطشاً على اقرار الكذب، هذا ونشبت منذ ذلك الحين صراعات عنيفة بين الملك والأمير.

#### ٤٢ — سجن كوماردياس وزدة فعل الجاثليق

في عام ٦٥٦ (٢٩ كانون الثاني ١٢٠٧ — ٢٨ كانون الثاني ١٢٠٨) قدم دوج البندقية وكونت فلاندرز إلى القسطنطينية، حيث هاجمها، وقتل عدداً كبيراً من الإغريق، واستولى عليها، وحكمها، واستولى الملك ليون في السنة نفسها على أملاك هنري وأولاده: كوستاند — كوماردياس Kumardias ، وجوسلين وبلدوين، مدعياً حقه بذلك، وقد كبلهم بالسلاسل وألقاهم بالسجن، وكان هنري صهر تير يوهانس جاثليق الأرمن، ونشبت منذ هذه الساعة خلافات حادة بين الملك ليون والجاثليق تير — يوهانس، وكثيراً ما تدهورت الأوضاع بينها وازدادت سوءاً، وقام مؤيدو الجاثليق من الأعيان وأمراء سيس بخلع الملك، ووضعوا مكانه الجاثليق الأرمني تير — يوهانس الذي كان وقتذاك منفيّاً في هورومكلي، وقد استفاد من حصانتها وأقام عدداً من التحالفات السرية ضد الملك ليون، وقام من جانبه خسرو شاه بن قلعج أرسلان، الذي انفرد بحكم بلاد الروم بالاستعداد للحرب ضد الملك ليون، وقد حرضه على ذلك تير — يوهانس، وشاركه، وهكذا زحف على رأس قوات كبيرة ضد بيردوس Berdus ، واستولى عليها بقوة السلاح والعتاد، وحصل على الغنائم، وصار بذلك سيداً للمكان، وحل هكذا محل غريغور بن ليون، ومع مرور الأيام خرجت بيردوس من تحت سلطان الأرمن، وحدث هذا في مطلع سنة ٦٥٧ حسب التقويم الأرمني (٢٩ كانون الثاني ١٢٠٨ — ٢٧ كانون الثاني ١٢٠٩).

### ٤٣ - انتصارات تيودور لاسكارس

بعدها احتلت القسطنطينية من قبل اللاتين، كان عدد من الأمراء الإغريق قد هربوا ونجوا، ثم ما لبثوا أن وسعوا نفوذهم وسلطانهم، ومدّوه باتجاه القسطنطينية، واستولوا على نيقية، وسميرنا Smyrne، مع جميع القلاع والحصون المتعلقة بها.

وقد حكم ملكاً على هذه المناطق، أميراً اسمه لاسكارس، ووجد هذا الرجل الشجاع والمحب للحرب لنفسه متاخماً للسلطان خسرو شاه، ونتيجة للخلافات بينها تحاربا في منطقة قونية، وقد قتل السلطان من قبل جنود لاسكارس، وإثر ذلك حل عز الدين كيكافوس محله، وكان ذلك في مطلع سنة ٦٥٨ حسب التقويم الأرمني (٢٨ كانون الثاني ١٢٠٩ - ٢٧ كانون الثاني ١٢١٠).

### ٤٤ - خلافة روبين لليون

وأنهكت الشيخوخة الملك ليون، وضعف جسمه بسبب إصابته بمرض امتد إلى رجله وإلى يديه، وكان الملك ليون يعرف بالملك السيء الحظ، فمن سوء حظه أنه لم ينجب أطفالاً ذكوراً، ولذلك وجد نفسه في كثير من المناسبات، وفي مراحل مختلفة مضطراً لاستخلاف روبين، وهذا ما فعله في نهاية حياته حيث أوصى بالعرش لصالحه، وقد تجاوز بذلك الأمير جورج، الذي كان ابناً طبيعياً للملح، وكان قد فقأ عينه، وفي الحقيقة كان جورج رجلاً شجاعاً، ومقدماً في القتال، وجريئاً يتحدث بكل اعتداد، وأحاط به جماعة من الناس، كان حظي بمحبتهم، وكان جورج هذا يشعر بأن الملك يُخشاه بشأن الملك من بعده، وأنه لهذا السبب كان يوجه الاتهامات الكاذبة إلى بعض حاشيته، هذا وتراكت على عرش ليون تناقضات كثيرة، ومع هذا استطاع في العام نفسه أن يتخلص من قوى المعارضة القوية في أنطاكية، ووضع كل القوى تحت

نفوذه وسيطرته، ورجالاً مع الممتلكات والحقول، واستمر يمارس نهج الضغط لسنوات عديدة، حتى جرى الإعلان بشكل رسمي، وبقوة السلاح عن الوصاية على الشاب روين وإعداده لاستلام السلطة من بعده، ومع هذا عارضت أنطاكية وقد هاجمها وضغط عليها طوال العام بلا انقطاع.

وعند حلول عام ٦٥٩ (٢٨ كانون الثاني ١٢١٠ — ٢٧ كانون الثاني ١٢١١)، أرسل الملك ليون هيتوم صاحب لامبرون رسولاً إلى البابا في روما، وإلى امبراطور الألمان، وكان هيتوم هذا يعرف بهلي Heli ، وقد أصبح فيما بعد راعياً لدير درازارك، وكانت مهمة سفارته الطلب من البابا ومن الامبراطور إضفاء الرعاية على روين، الذي عدّه الملك ليون بمثابة ابن له، وأدى الرسول الملكي مهمته بنجاح وعاد بالموافقة والتشريف والرعاية، وفي تلك الأثناء قام الملك ليون بزيارة قبرص، حيث تمكن من تزويج روين من أخت ملك قبرص، التي اسمها سيبيل Sibylle، وكانت أخت الملك من أمه، وقد امتازت بأنها كانت امرأة عاقلة، وموزونة، وكانت متفانية في طاعة الملك ليون، وهكذا نجح ليون في اختياره بكل دقة زوجة للشاب روين، لتكون ملكة في المستقبل، وقد اصطحبها معه إلى مقره من أجل إقامة الاحتفالات، ومظاهر الفرح بالمناسبة.

#### ٤٥ — المصالحة بين ليون والأسقف يوهانس الخامس و الحملة ضد قيصري

في العام ٦٦٠ (٢٨ كانون الثاني ١٢١١ — ٢٧ كانون الثاني ١٢١٢) خلد الجاثليق تير — يوهانس إلى النوم والتحق بالمسيح، وذهب في العام نفسه هيتوم راعي دير درازارك إلى هورومكلي للاجتماع بالجاثليق تير — يوهانس والتباحث معه، حول المصالحة، وقد تمكن من استمالته، ثم استطاع بعد ذلك أن يحقق المصالحة بين الجاثليق والملك، وبناء عليه

قرر الملك إطلاق سراح ولدي هنري: جوسلين وبلدوين، وإعادة الاعتبار إليهما، ذلك أن الثالث كان قد مات.

وزحف في العام نفسه صاحب كارين Karin ، طغرل شاه على رأس ثلاثة جيوش ضد قيصري، وذلك بناء على توجيهات ونصائح الملك ليون، الذي حضر شخصياً لتقديم الدعم والامداد، والنجدة العملية للحرب ضد كيكافوس ابن أخي طغرل شاه، وبعد عدة أيام من القتال، خاب أملهما، وأخفقا في تحقيق أي انتصار، ولم يتمكنوا من السيطرة على المدينة، فعاد كل منهما إلى بلده.

وتوفي في العام نفسه الأمير الكبير زكريا، صاحب آني، وأخو «ايواني» وقريب تآمار Tamar ملكة الجورجيين، وكانت هذه الملكة ابنة للملك جورجي، وقد حكمت الشعب الجورجي في الأيام التي حكم فيها ليون، وماتت عن عمر متقدم، وإثر ذلك تسلم السلطة ابنها المدعو لاشا Lasa، وهو في الحقيقة كان قد تسلم العرش في أواخر أيامها، وحكم البلاد.

ولدى حلول عام ٦٦١ حسب التقويم الأرمني (٢٨ كانون الثاني ١٢١٢ - ٢٦ كانون الثاني ١٢١٣) عقدت اتفاقية وئام، جرى تطبيقها، فيما بين الملك ليون، وبين تير يوهانس، وقد أعاد الملك بموجبها إلى الجائليق كل الممتلكات، والقلاع التي أخذت منه، وهكذا عاش الموالون للملك والمعارضون له أجواء الفرح والحبور.

#### ٤٦ - زواج ريتا من جون دي بريين

في سنة ٦٦٣ (٢٧ كانون الثاني ١٢١٤ - ٢٦ كانون الثاني ١٢١٥) في زواج الملك ليون ابنته ريتا إلى حاكم القدس الملك جون دي بريين، الذي امتاز برجولته وصلابته، وبكرمه أيضاً، فضلاً عن أنه كان شجاعاً، وقد برهن على ذلك في مختلف الوقائع والمعارك الحربية التي

خاضها، ووصل بهذه المناسبة مقدم الاستبارية، قادماً من عكا على متن سفينة، وقد رسا عند نهاية نهر طرسوس، وكان الملك قد حدد معه شروط الزواج، وحمل العروس بعد ذلك إلى عكا، حيث جرى استكمال الزواج.

#### ٤٧ — سيطرة ليون الثاني على أنطاكية — ولادة ايزابل

في سنة ٦٦٥ (٢٧ كانون الثاني ١٢١٦ — ٢٥ كانون الثاني ١٢١٧) وفي يوم ١٤ شباط وهو يوم الطهارة، في هذا اليوم استولى الملك ليون على أنطاكية، وتمكن من التحكم منها، وذلك بفضل دهائه ومرونته، من دون أن تعترضه مصاعب، ومن دون خوض معارك ضارية، وقد تمكن من الوصول إلى أهدافه من خلال عدد من الأثرياء والأعيان، وكان بينهم عدد من الأمراء، فهؤلاء قد تعاونوا معه، وفتحوا له أبواب المدينة في أثناء الليل، وقد تسلل إلى داخلها محاطاً بوحدات من جيشه من الفرسان والرجالة، واستطاع أن يسيطر على جميع المواقع الحصينة، وملأ الطرقات بعدد غفير من الجنود، وتم له ما أراد دون أن يعرف السكان شيئاً، واستيقظ السكان في الصباح الباكر على وقع الموسيقى العسكرية، واستولت الدهشة على الجميع، وفوجئوا بسقوط مدينتهم في أيدي قوات غازية، ويلاحظ أن هذه القوات لم تمارس أية ممارسة خاطئة، أو استفزازية ضد السكان، ومن جهة أخرى استقبل البطريرك وكبار السادة الملك ليون ورويين، واصطحبوهما إلى كنيسة القديس بطرس، وهناك منح البطريرك الأمير روبين لقب أمير أنطاكية، وقدم له الحضور الولاء.

وأقام الذين كانوا حضوراً في كنيسة أنطاكية، والذين قدموا الولاء لأمير أنطاكية، أياماً قليلة، ثم غادروا إلى مواطنهم، وكان ذلك بعد تسلم روبين لمهامه، وكان الملك ليون آنذاك في منتهى السعادة، لكونه أدرك أهدافه بأسلوب وفر عليه الكثير من الخسائر والتبعات، وبات

مسروراً للنصر الذي منحه الرب إياه، وفي المقابل كان الأرمن ضحايا تلك المرحلة، حيث خضعوا لسيطرة الملك، أما بالنسبة لرويين، فقد فرح الملك بما تحقق لهذا الرجل المنحدر من أصل طيب، وكان رويين يعبر بسلوكه عن مستوى تواضعه الأميري، حيث كان يظهر عادة بمظهر الأصل الجيد.

وفي تلك المرحلة ولد للملك ليون ابنة أطلق عليها اسم ايزابيل، وقد دفع ميلادها الملك إلى التخطيط بشأن صيرورة العرش والمملكة إليها بعد وفاته، وقد أشار عليه بهذا التوجه معظم الأمراء بقولهم: «في الوقت الذي منحك الرب فيه ابنة من صلبك، فهو قد أعطاك من يتسلم المملكة، ومنحك الوارث الطبيعي لعرشك، ومن سوف نبايعه مثلما نبايعنا رويين، وهكذا اجعلنا على صلة بابنتك وبعهددها، ونحن على استعداد لخدمتها كما لو كانت ولداً ذكراً، علماً بأنك قد قدمت الكثير لرويين، عندما رفعت منزلته».

وحقيقة الأمر أن الملك هو الذي حرض الأمراء، وقد نجح في دفعهم إلى التصريح بهذا الموقف من أجل الإعداد لما بعد إمارته.

#### ٤٨ — حصار دمياط من قبل الحملة الصليبية الخامسة

وصل في هذه الآونة إلى عكا على متن سفينة دوق الألمان في النمسا، وكان برفقته أعداد كبيرة من عساكر جيوشه، كما كان بصحبته أندريه ملك المجر مع أعداد من عساكره وقواته، وقد احتشدت قوات دوق النمسا مع قوات جون ملك القدس، والبارونات، بالإضافة إلى قوات الداوية والاسبتارية، وكان مع الجميع نائب البابا الروماني، وأجمع هؤلاء على التوجه إلى مصر، ولدى وصولهم إلى دمياط، واجهوا برجاً حصيناً، كان قد بني في الميناء، وقد جرى ربطه بسلسلة حديدية غير قابلة للقطع، الأمر الذي حال دون تقدمهم إلى داخل المدينة، وقد

أعيقوا لمدة أيام، أمضوها في بناء الأبراج والسلالم فوق سفنهم، وبواسطة هذه الوسائل تمكنوا من الوصول إلى رصيف الميناء، وأحاطوا إثر ذلك بالبرج، واستولوا عليه، بعد قتل كثير من الناس، ثم انتشروا في المنطقة المحيطة بالميناء، وشرعوا في إقامة جسر فوق النهر، تمكنوا بوساطته من العبور إلى الضفة الأخرى للنهر، ووقتها بدأوا في فرض حصارهم على دمياط من مختلف الجهات.

أما سلطان مصر الملك العادل وهو أخو صلاح الدين فقد قام هو وولديه (الكامل والأشرف) بنصب الخيام قبالة الذين هاجموا دمياط، لكن دون أن يقدموا أي عون إلى المدينة المحاصرة، ودون إلحاق الضرر بالمسيحيين (٣٥).

#### ٤٩ — تحالف ليون مع أندريه الثاني ملك المجر

بعد أمد قصير من مغادرة قوات الصليبيين عكا، بقصد الاستيلاء على مصر، عاد ملك المجر أدراجه نحو موطنه، ثم توجه إلى كليكية، وهناك استقبله الملك ليون بحفاوة كبيرة، واصطحبه إلى طرسوس، وقدم له الكثير من المودة وعبارات المحبة، وقد نتج عن هذه الأجواء حلف صداقة، تضمن الأواصر الأسرية، والتي بموجبها قدم ملك المجر ابنه إلى الملك ليون ليكون بمثابة صهر له، ولكي يكون أيضاً وارثاً للعرش، وقد تم تأكيد هذا في عقد مبرم، مدون وموثق، وفي غضون ذلك أرسل الملك ليون صاحب تل حمدون صحبة ملك المجر، للبحث عن ابنه، وكان الملك ليون تصرف أيضاً مثل هذا، فأقام روابط أخرى مع الامبراطور لاسكارس، حيث زوجه ابنة أخيه المسماة فيليبا.

#### ٥٠ — انضمام سلطان الروم

وعندما استولى ليون على أنطاكية، انضم إليه سلطان قونية كيكاس، وانطلق معه على رأس جيش كبير ضد كابان، ولم يكن هذا الأخير

يملك القوة الكافية للتصدي، ولم يمكنه فعل أي شيء، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الفضل في تحقيق الانتصار السريع لغزارة المعلومات التي حصل عليها ليون وحليفه من الخونة والعملاء، الذين كانوا مزروعين داخل بطانة كابان، أما بالنسبة لكوستاندين ابن خال الملك ليون وكوستاندين بن هيتوم، وكذلك كيرساك صاحب ملوا، وعدد كبير آخر من الأمراء والسادة فقد عادوا إلى ديارهم وبيوتهم.

### ٥١ — وفاة الملك ليون واعتلاء ايزابل العرش

في العام ٦٦٨ (٢٦ كانون الثاني ١٢١٩ — ٢٥ كانون الثاني ١٢٢٠) قدم الملك ليون حصني لؤلؤة واللوزات إلى الأميرين اللذين أفرج عنها بعدما أمضيا مدة في الاعتقال، وجاء في العام نفسه الجائليق تير — يوهانس للاجتماع بالملك ليون، ووضع هورومكلي بين يديه، وذكر أنه تعرض للمضايقة من قبل المسلمين ومقابل ذلك أعطاه الملك درازارك، لأن هلي كان قد توفي.

وازدادت في هذه السنة آلام المرض على الملك، وأدى ذلك إلى وفاته. وعندما كان مايزال حياً قدم الأعيان إلى زيارته، مع الجائليق تير — يوهانس وعندما شعر الملك ليون أنه مغادر لهذه الدنيا، أمر بأن يحملوه إلى خارج سيس عبر الطريق إلى دير أكير Akner الذي كان قد بناه، حتى إذا مات يكون على هذا الطريق، وفي أثناء سيرهم ناداهم واحداً واحداً، وأمرهم أن يظلوا محبين للبلاد، وحريصين في الدفاع عنها، وأن يحافظوا على ولاء كامل لا مثيل له لابنته ايزابل، التي تركها وريثة لسلطته، وقد ترك وصياً على ابنته الأمير الكبير السير آدم، الذي كان يمتلك كثيراً من القلاع والولايات في المنطقة الممتدة من سلوقية إلى كالاوناوراوز Kalawnawraws، والتي ما برحت تسمى حتى يومنا هذا باسم بلد السير آدم، وكان هذا الرجل مليئاً بالحوية وبالمروءة الأرمنية، وإليه عهد الملك بالوصاية على ابنته، وجعلها أمانة بين يديه،

وعهد بالشيء نفسه وبالوكالة إلى السيد البطريرك تير — يوهانس وإلى كل الأمراء، فبعدما وجه عبارات الشكر إليهم أوصاهم بابتته، وعندما وصل إلى قرية مرفان Mrvan توقف لأن جسده بات مثقلاً بالآلام، وكان القسيس غريغور المسمى أيضاً سكيورين Skewrien موجوداً أيضاً، لسماع الاعتراف منه ولإعطائه القداس والمباركة.

وفيما يتعلق، فيما سلف وذكرناه، بالنسبة لموضوع ابن ملك المجر، الذي رشح ليكون صهراً للملك ليون، أعطى الملك ليون إلى أمراءه باحترام شروط العقد المبرم والقاضي بزواج ابنته ايزابل من ابن ملك المجر، وذلك عندما يحضر هذا الابن، ومن ثم استكمال الرابطة دونها تأخير، فبعد ذلك يستطيع الملك أن يطمئن في خروجه من الحياة الدنيا، وينصرف وقتها للاهتمام بالحاجات الروحية، بما يكفي ويكون موثماً لراحة جسده في المكان المقدس في دير أكنير، ثم قام الملك باستدعاء القسيس غريغور، وكان رجلاً قديساً، وشرع يعترف أمامه بأخطائه، وفعل ذلك بنية أورثوذكسية، ثم أمسك بيدي القديس القسيس متمنياً من الرب الرحمة والغفران.

وكان ذلك في الأول من أيار، وحصل عندئذ خلاف حول المكان الذي سيدفن فيه جثمان الملك ليون، ففي حين رأى الجاثليق تير — يوهانس أن يؤخذ إلى درازارك، اقترح الأعيان نقله إلى دير أكنير، وذلك بناء على رغبة الملك الشخصية ثم حمل إلى مكان ولادته، وتقرر بعد جدال طويل نقله إلى سيس عبر أكنير، وأن يدفن داخل الكنيسة في تابوت هناك، تغمدته الرب برحمته وغفر له ذنوبه.

## ٥٢ — وصاية كوستادين وعصيان النبلاء

في سنة ٦٦٩ (٢٦ كانون الثاني ١٢٢٠ — ٢٤ كانون الثاني ١٢٢١) ثار جميع الأمراء الذين كانوا في كليكية من الأرمن والإغريق، والبارون

بهرام، إضافة إلى الأمراء الأصيلين في طرسوس، ضد الوكيل المتسلط على الأرمن باسم الملك، وهو البارون كوستاندين، وحين ثاروا عليه حشدوا قرابة الخمسة آلاف مقاتل، وكان كوستاندين موجوداً في سيس، لكن في وضع ضعيف، وقام من جانبه بإبداء مقاومة هزيلة، حيث أنه عندما علم بحركة العصيان، ووصول خصومه إلى المصيصة، تحرك للتصدي لهم على رأس ثلاثمائة رجل فقط، ولدى وصوله إلى المصيصة ومشاهدته لحجم قوات خصومه، أيقن أنه لا إمكانية لديه بالعودة، فمال نحو طريق أذنة، وفي منتصف الطريق بين أذنة والمصيصة تأكد من الحجم الهائل لقوات خصومه، فشرع في تشجيع رجاله ورفع معنوياتهم، وحثهم على الصمود في وجه الخصوم، وتوجه بعد ذلك إلى مكان فيه جسر صغير، وقرر هناك هو ورجاله الانقضاض على خصومهم دون الاهتمام بفارق الحجم، وقد تمكن البارون كوستاندين من إلحاق الهزيمة بخصومه، وظل يلاحق فلولهم ويتعقب آثارهم حتى وصل إلى أبواب طرسوس، ووفر فرار خصومه على أنفسهم سقوط الضحايا بينهم، حيث لم يمت أحد منهم، واكتفى البارون بمصادرة أسلحتهم وملابسهم وتموينهم، وتحرير الذين كانوا في أسرهم.

أما أمراء طرسوس، فقد ولوا الأدبار قبل أن يختل ميزان القوى لصالح البارون، وفروا إلى ما وراء أسوار المدينة، حيث قاموا بإغلاق الأبواب بإحكام، واستعدوا لمقاتلة مطارديهم من خلف الأسوار، لكن واحداً من سكان المدينة كان اسمه باسيل اتصل بكوستاندين، وتعامل معه ببراعة وذكاء، وتعهد له بتحقيق مآربه مقابل خدمات معينة، وقام هذا الرجل بفتح الأبواب خلال الليل، وسهل بذلك عملية تسلل الوكيل الملكي، ومن معه من الرجال إلى داخل المدينة، وهنا جرى نهب أملاك الإغريق، أما الأمراء الفارون، فقد قرروا الصعود إلى الأماكن الحصينة في المدينة، غير أن دهاء كوستاندين الوكيل الملكي للأرمن،

واستطاعته التعامل المرن مع خصومه من الأمراء جعله ينجح في إقناعهم بالتسليم إليه، وهكذا انتصر عليهم دونما قتال، فبالحوار تمكن من وضع يده عليهم، فاقتادهم إلى السجن، حيث هلك بعضهم هناك، وتحمر بعضهم الآخر وفي العام نفسه مات الجاثليق تير — يوهانس، ودفن في درازارك.

### ٥٣ — انتخاب الجاثليق كوستاندين الأول

اجتمع الأساقفة والقساوسة للتداول بشأن اختيار جاثليق للأرمن وقد اختلف الأمراء، ولم يكن هناك ملك يحسم الأمر بإرادة ملكية باختيار جاثليق وتثبته، ومع هذا قام كوستاندين، الذي كان يشغل وظيفة الوكيل الملكي، فاختر الوقوف إلى جانب برجيريد - Barjr berd، وأثر اختياره وكذلك فعل البارون كوستاندين صاحب لامبرون والقسيس غريغور دي سكيورا Skewra، وأثر كوستاندين الوكيل الملكي للأرمن إرضاء الرب، وتكلم بشكل بارع، وجرى الإصغاء إليه، وهكذا جرى اختيار تير — كوستاندين برجيريد جاثليقاً للأرمن.

### ٥٤ — إحلال هيتوم الأول محل فيليب الأنطاكي

في سنة ٦٧١ (٢٥ كانون الثاني ١٢٢٢ — ٢٤ كانون الثاني ١٢٢٣) أصبح فيليب ملكاً على الأمة الأرمنية، وجدير بالذكر أن فيليب كان ابن كونت طرابلس وأمير أنطاكية، وكان قد تزوج — كما أشرنا — من إيزابيل ابنة الملك ليون، ذلك أن ابن ملك المجر لم يحضر عندما توفي الملك ليون، وبعدهما صار فيليب ملكاً، أظهر عداوته للأمراء الأرمن، وتمادى في تصرفاته الرعناء، وبلغ به الأمر أن قام بجمع أملاك الملك ليون وأمواله، مع أموال وراثته، واستولى عليها، ثم شرع بنقلها إلى أنطاكية، شيئاً فشيئاً، وغضب أمراء الأرمن كثيراً ومن ثم قرروا اعتقاله وزجه بالسجن، الأمر الذي أثار فيها بعد كثيراً من التوتر فيما بين

الأرمن والأنطاكيين.

وفي عام ٦٧٥ (٢٤ كانون الثاني ١٢٢٦ — ٢٣ كانون الثاني ١٢٢٧) اجتمع الأمراء الأرمن مع الجاثليق تير — كوستاندين، واختاروا هيتوم ملكاً لهم، وكان هيتوم هذا هو ابن كوستاندين الوكيل الملكي للأرمن، وقد مكنوه من ايزابيل ابنة الملك ليون، وهكذا هيمن السلام والهدوء على الشعب الأرمني سنة تلو سنة، حتى بلغ أعلى مستويات الرقي والعظمة.

وفي عام ٦٧٨ (٢٨ كانون الثاني ١٢٢٩ — ٢٢ كانون الثاني ١٢٣٠) قدم امبراطور الألمان من النواحي الكائنة على تخوم المحيط، ثم قصد القدس حيث سيطر عليها بوساطة (سلطان) المسلمين.

(سقط مقدار ورقة ونصف الورقة)

تاريخ سنة ٧٠٠ (١٨ كانون الثاني ١٢٥١ — ١٧ كانون الثاني ١٢٥٢) والأحداث التي تلتها

٥٥ — وفاة الملكة ايزابيل

في العام ٧٠١ حسب التقويم الأرمني (١٨ كانون الثاني ١٢٥٢ — ١٦ كانون الثاني ١٢٥٣) توفيت ايزابيل في يوم ١٢ — كانون الثاني، وهي التي كانت ابنة الملك ليون، وزوجة الملك هيتوم، والتحقت بالمسيح، وقد عرفت بحسناتها وأعمالها الخيرة، وكانت هذه الملكة قد أنجبت ثلاثة أولاد هم: ليون، وطوروس، وروبين، إضافة إلى خمس بنات، سميت إحداهن باسم فيمي، وهي التي تزوجت واحداً من الفرنجة اسمه جوليان، وكان صاحب صيدا، وقد خسرها في رهان للخيل، وقد اشتراها منه فرسان المعبد.

## ٥٦ — سفر هيتوم الأول إلى منغوخان

في عام ٧٠٢ (١٧) — كانون الثاني ١٢٥٣ — ١٦ كانون الثاني (١٢٥٤) غادر هيتوم ملك الأرمن بلاده كليكية متوجهاً إلى الشرق، برفقة عدد من الرجال من أجل زيارة شعب الرماة، أي شعب جنكيزخان، والمثول في حضرة الخان المسمى منغو، وقد وصل أولاً إلى أماكن سكنى الإسماعيليين المسلمين في مقاطعة كبدوكية، وكان يعتمد في مسيره أثناء الطريق على دليل اسمه بارسيل، وبارسيل هذا هو الذي رسم لهيتوم خطة السير والسفر، وقد وصل هيتوم ومن معه إلى حدود ثيودوثيوبولس، وذلك على مقربة من مكان اسمه فارديني، وقد أقاموا في منزل كان يملكه أمير اسمه كرد، وهناك انتظروا وصول الهدايا من كليكية، لكي يحملها معه إلى الخان، أما كوستاندين — والد الملك — فقد أعد كل ذخائره وأرسلها إلى الملك مع رجال يثق بهم، ثم قام الملك هيتوم بحمل الهدايا جميعها، وقصد منغوخان، الذي استقبله بحفاوة وابتهاج، واستجاب لكل شيء طلبه منه، ووقع اختيار الخان على واحد من خدمه، وكان رجلاً أعور لمرافقة الملك هيتوم في العودة إلى بلاده كليكية، وكان اسمه ماركاتيا، وأصبحه برجل آخر اسمه باجوني.

وتزوجت في العام نفسه سيبيل ابنة الملك هيتوم من بوهموند أمير أنطاكية وكونت طرابلس.

## ٥٧ — غزوة التركماني اسلام بيك

في العام ٧٠٣ (١٧) — كانون الثاني ١٢٥٤ — ١٦ كانون الثاني (١٢٥٥) ظهر من بين البدو التركمان رجل اسمه تركمان بيك، وقد انضم إليه عدد كبير من بني قومه عرفوا باسم الأغا جيري Aghag - eri ، وقد هاجموا المسيحيين وألحقوا بهم أضراراً بليغة، ونهبوا الكثير من المواقع في لحف جبل طوروس، كما أنهم قاموا بإضرام النيران، وإشعال الحرائق،

وقاموا بحصار برج كراكا Krakka ، لكن ما لبث هذا الكلب أن قتل خلال أيام قليلة ومن ثم عاد السلام إلى المنطقة الجبلية.

### ٥٨ — العودة المنتصرة لهيتوم الأول

في العام ٧٠٤ (١٧ كانون الثاني ١٢٥٥ — ١٦ كانون الثاني ١٢٥٦) غادر الأمير غيوفري بلاد كليكية، وترك هذا العالم بعد أن استاء من أعمال الناس مع مسيحيي الشعب، وقد توفي بعدما ترك سيرة مليئة بالأعمال المقدسة.

وفي العام ٧٠٥ (١٧ كانون الثاني ١٢٥٦ — ١٥ كانون الثاني ١٢٥٧) وخلال شهر أيلول عاد الملك هيتوم ملك الأرمن إلى البلاد قادماً من عند منغوخان، وخلافاً لذهابه الذي كان بصورة سرية، فإنه عاد مثل الأسد، ومرّ بين أعدائه دونما خوف، حتى وصل إلى الحصن الذي كان يقيم فيه والده، وقد عرف باسم حصن البرج (برجريرد)، وهناك وجد والده، وأطفاله البنات والبنين الذين فرحوا بعودته سالماً.

وبعد ذلك في شهر تشرين من السنة نفسها حشد الملك هيتوم حشداً عظيماً، وكان معه أخوته وأقربائه والنبلاء، وقد بلغ تعداد الحشدمائة ألف، وزحف ضد بلاد الروم في سفوح جبال طوروس وذلك بالقرب من مدينة إيرغلي Eregli، وهاجم منطقة «عنق الكنائس» ومنطقة موراندين Murandin ، وسلب الكثير من الحيوانات القرنية من أبقار وجواميس وأغنام، وكذلك الخيول والبغال والذهب والعبيد الأتقان، ثم عاد إلى بلاده مبتهجاً حيث عم السرور أرجاء البلاد لأيام كثيرة.

### ٥٩ — حفل تنصيب الأمير ليون ولي العهد قائداً للفرسان

قرر في العام ذاته الملك هيتوم تنصيب ابنه الأكبر قائداً للفرسان،

وتوجه لهذا الغرض هذا الملك إلى منطقة المصيصة، ثم بعث برسول وبسفراء إلى أنطاكية لتوجيه الدعوة إلى صهره بوهيموند أمير أنطاكية وكونت طرابلس، من أجل القدوم بصحبة زوجته لحضور احتفالات تلك المناسبة، كما بعث للغرض ذاته إلى جوليان صاحب صيدا، طالباً حضوره هو الآخر، رفق زوجته، كما تكرم بتوجيه الدعوة إلى كونتيسة يافا للحضور إلى كليكية، ووجه الدعوة إلى جميع أصدقائه أيضاً، كما قام بجمع جميع حاشيته وكل المراتب الإدارية على اختلاف درجاتها، لحضور مراسم الحفل البهيج، وهكذا جرى تنصيب ليون قائداً لسلاح الفرسان بتاريخ ١٥ تشرين الثاني من العام ٧٠٥، وفرح الملك فرحاً عظيماً، وذلك بالإضافة إلى والده وأسرته، وكل الذين احتشدوا في هذه المناسبة بالذات.

#### ٦٠ — استيلاء المغول على بغداد

في عام ٧٠٧ (١٦ كانون الثاني ١٢٥٨ — كانون الثاني ١٢٥٩) زحف شعب الرماة باتجاه مدينة بابل، برفقة جميع قادة المئات، وقواد الألف، وذلك تحت لواء القائد الكبير الخان هولوكو، الذي اجتاح تلك البلاد بكل عنف، وفي مواجهة الغزو المغولي، استعد أهالي بابل من المسلمين، قبل وصول هولوكو، وكان ذلك لسبيين:

أولهما: لأن السكان كانوا على علم مسبق بهجوم المغول والتتار، وكانوا يعرفون حجم الحملة المعدة ضدهم، ولهذا قاموا بالتجهز والاستعداد، وحضروا ما يلزم لخوض الحرب.

وثانيهما: لأن الخليفة كان مقيماً من قبل في القاهرة، وقد جرى تغيير مقر إقامته ونقله أيام حكم الملك بلدوين، الذي أقام في القدس وتهدد مصر، وأراد احتلالها، فكان أن قُتل الخليفة بأمر من سلطان حلب، وبعد هذا نقلت الخلافة إلى بغداد.

وخرج سكان المدينة للتصدي للغزاة في ميدان القتال، وقدموا هناك عدداً كبيراً من الضحايا، كما أنهم قتلوا العديد من جيش الغزاة، غير أن التتار نظموا هجوماً ثانياً على المدينة، ووقتذاك بعث الخليفة موفداً خاصاً ليتحدث إلى هولاكو خان، وليقول له على لسان الخليفة: «خذ جيشك، واذهب به بعيداً عن ها هنا، فإنك لن تستطيع تحقيق أي تقدم يذكر، فنحن سوف نستنصر عليكم بلبس بردة النبي (ﷺ) أمام الناس جميعاً، ووقتها سيخرج من بين صفوفكم من سينحاز إلى إيماننا، وساعتها سأتولى توفيرهم»، وعندما استمع هولاكو خان إلى حديث هذا الموفد الخاص، استخف بالخليفة واستهزأ به، وطفق يبصق هو ورجاله نحو الخليفة، ثم رفع هولاكو خان صوته وصرخ قائلاً: «بعون الرب، وبوصية جنكيزخان سوف ندخل إلى المدينة بحد السيف»، وما أن انتهى الحديث بين الطرفين، اندلعت الحرب، وانقض رجال شعب الرماة على الأهالي بسرعة كبيرة، وشرعوا في توجيه الضربات تلو الضربات حتى انهزم السكان، وتركوا ثغرات تسلل منها هولاكو خان ورجاله إلى داخل المدينة، حيث ارتكبوا المجازر والمذابح الهائلة، فلقد قتلوا وذبحوا الرجال والنساء والأطفال، وقذفوا بالجثث النازفة في نهر الفرات (٣٦)، الذي يمر بمحاذاة المدينة حتى تحول لون الماء إلى اللون الأحمر، وذلك نظراً لكثرة الدماء التي نزلت من الجثث في داخل النهر.

وشعر المغول والتتار بعد اقترافهم للمجازر بالإرهاق، والتعب الشديد، فالتمسوا من القيادة المغولية المنتصرة إيقاف القتال، وجمع الأسلاب، وفرض الغرامات والضرائب، والعودة إلى موطنهم.

## ٦١ — وفاة ليون أخو هيتوم الأول

وقرر في العام ذاته ليون أخو الملك هيتوم الذهاب إلى قبرص لزيارتها وليخطب امرأة ويتزوجها، وقام ليون بتحضير جميع المستلزمات الضرورية لاستكمال الزواج، ووضعها على متن سفينة بانتظار هبوب

رياح الشمال، ثم إنه عاد يبحث عن أبيه من أجل نيل تبريكاته، غير أنه أصيب بشكل مفاجيء بمرض عضال أدى إلى وفاته في ٣٠ - أيار، وكان ذلك في مدينة أذنة، وقد فتحت بطنه، وأخرج ما في جوفه، ثم حمل إلى دير القديس أكثير، حيث أودع هناك لبعض الوقت، وبعد هذا جرى نقله إلى ملك بايروان، حيث دفن هناك.

واعتباراً من هذا اليوم استبد الحزن بكوستاندين والد الملك، وبالمملك هيتوم وآل بيته وحاشيته.

## ٦٢ - حملة ساروم التركماني

وقام في العام ذاته تركماني اسمه ساروم Sarum ، بحشد عدد كبير من الرجال، وزحف ضد قلعة كراكا Krakka ، وبث الرعب بين صفوف الناس ثم أخذ معه أسرى وغنائم وأسلاب، وانسحب دون إحداث أضرار كبيرة، وبعد مضي بعض الوقت توفي هذا التركماني.

## ٦٣ - قيام هيتوم الأول بالتحكيم في طرابلس

في العام ٧٠٨ (١٦ كانون الثاني ١٢٥٩ - ١٥ كانون الثاني ١٢٦٠) ذهب الملك هيتوم على متن سفينة إلى طرابلس، ومعه مائتي رجل، وذلك من أجل معاضدة صهره الذي كان أميراً لأنطاكية، وكونتاً لطرابلس، وذلك إثر تفجر خلاف بين هذا الأمير، وتكتل قوي نشأ بين صفوف حاشيته، وقد تمكن الملك هيتوم من فض الخلاف، وعقد اتفاقاً نظم العلاقة بين الطرفين، ثم عاد إلى بلاده.

وعقد في العام ذاته في أيام عيد الحصاد، اجتماع كبير في مدينة طرسوس، جرى خلاله تنصيب أخو الملك المعروف باسم بلدوين أسقفاً، وبعد مضي عدة أيام نال لقب تير - يوهانس، وحدث في اليوم ذاته أن أصبح طوروس ابن الملك فارساً.